489

HARLEQUIN

روايات أحلام

ضياع في العاصفة

ديانا بالمر

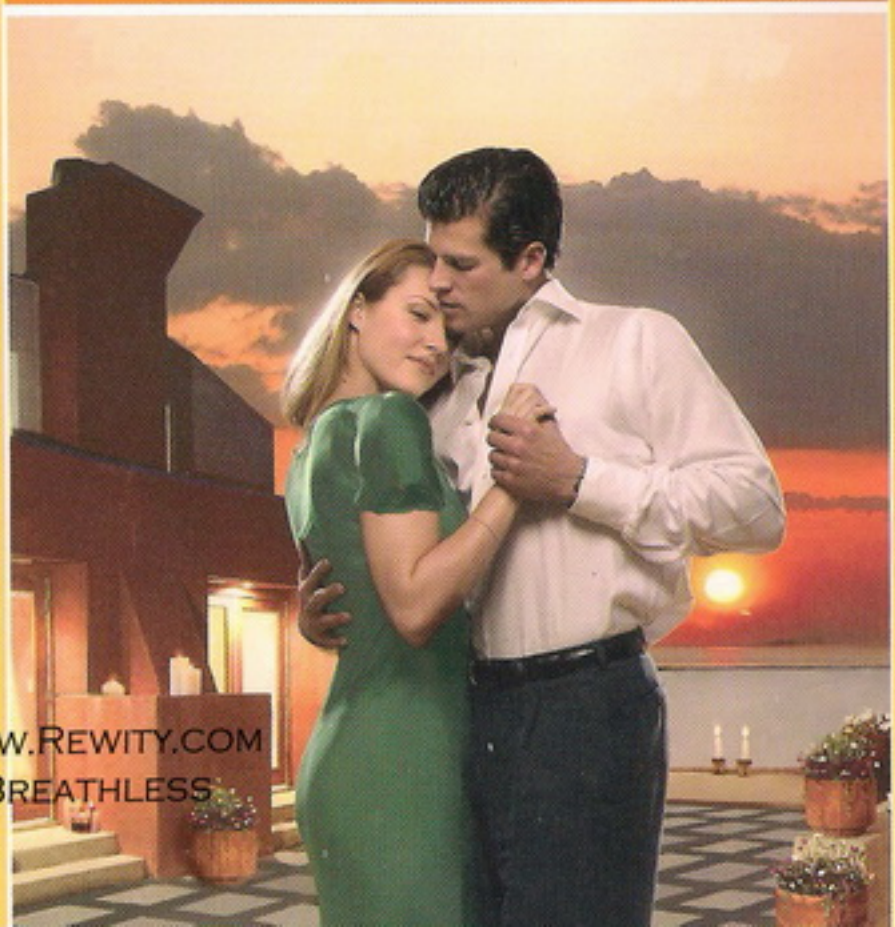

WWW.REWITY.COM
BREATHLESS

ضياع في العاصفة

ستيوارت يورك، قاهر قلوب النساء بوسامته الصارخة، رجل فظ شرس الطباع... إيفي كونلي، صديقة أخته المفضلة، نالت نصيبها من طباعه.. خلال تمضيتها إحدى الليالي في منزله في جاكوبزفيل، انتهى الأمر بإيفي بين ذراعي ستيوارت... لكن صغر سنها أرغم ستيوارت على أن يقفل باب قلبه في وجهها...

وبعد مرور سنوات على تلك الحادثة، قررت إيفي ألا تسمح لأحد بأن يعاملها كطفلة صغيرة.. وعلى الرغم من براءتها، أدركت أن عليها أن تخوض معاركها بنفسها... وإذا بستيوارت يحمل السيف بيده، لسبب تجهله، ويخوض المعارك الى جانبها.. ويبذل قصارى جهده ليرد عنها الأذى... وبين ذراعي ستيوارت اللتين تبعثان الأمان في نفسها، أحست إيفي بأنها امرأة، امرأة له وحده...

www.rwayati.com

لبنان،	3000 ل.ل	البحرين،	1 دينار
سوريا،	100 ل.س.	السعودية،	10 ريال
الأردن،	1.5 دينار	مصر،	8 جنيه
الكويت،	750 فلس	المغرب،	15 درهم
الإمارات،	10 دراهم	تونس،	2.50 دينار
قطر،	10 ريال	عمان،	1 ريال

EFDC
RWAIAT AHELAM
9 789953 153742
Dhs 10.00

ضياع في العاصفة

ديانا بالمر

www.Rewity.com
Breathless

روايات احلام

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
winter Roses
First published in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
© Diana palmer 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2011
ISBN 987 - 9953 - 15 - 524 - 1

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.rewity.com
Breathless

آن ميـــثر

بدأت آن ميثر بالكتابة منذ طفولتها وتطوّرت أعمالها تدريجياً من روايات المراهقين الغرامية العاصفة إلى روايات الحب المتزنة التي تهوى مطالعتها. وهي متزوّجة وأمّ لولدين، يعيشون معاً في شمال إنكلترا. تستمتع آن ميثر إلى جانب الكتابة بهواياتٍ عديدة، منها المطالعة وقيادة السيّارات والسفر إلى أماكن مختلفة حيث تعثر على أفكارٍ لرواياتٍ جديدة. تعتبر آن ميثر نفسها محظوظة جداً بممارسة عملٍ لا تستمتع به فقط، بل يدرُّ عليها المال كذلك.

١ - كبش المحرقة

تأخر الوقت وخشيت إيفي أن يفوتها الدرس. كانت راشيل الشخص الوحيد الذي يعرف رقم هاتف إيفي الخلوي فضلاً عن صديقتها المفضّلة، وقد اختارت أن تتصل بها بينما هي تهم بدخول الصف. كان من الممكن تأجيل المشادة الكلامية إلى المساء، لكن أختها الأكبر سناً لا تفكر أبداً في مصلحة أي شخص آخر سواها. قالت لها إيفي متأففة:

- أرجوك يا راشيل، لقد تأخرت كثيراً.

وتابعت تقول وهي تبعد خصلة من خصلات شعرها الأشقر الطويل عن وجهها، وقد اكفهرت عيناها الخضراوان من شدة القلق: «ولديّ امتحان اليوم».

أجابت أختها الكبرى بعدم مبالاة: «لا يهمني الأمر. عليك أن تصغي إليّ جيداً. أريد منك أن ترسلي لي الشيك بثمن عقار والدي فور استلامه من شركة التأمين فالفواتير المتأخرة مكدسة أمامي بينما أنت منهمكة بدروسك الجامعية. إنها مضيعة للنقود. ليت العمة هيتي لم تترك لك حساب توفير».

وأضافت بنبرة مثقلة بالغضب: «كان حري بها أن تتركه لي، فأنا الأكبر سناً».

لطالما استغلت راشيل هذا الوضع لتستولي على كل ما يمكن أن تقع

www.lewity.com Breathless

يداها عليه، وكل ما يمكن أن تستبدله بالأموال النقدية. ووجدت إيفي نفسها عاجزة عن الاحتفاظ بما يكفي من النقود لتسدد فواتير الجنازة المستحقة. من حسن حظها أن العمة هيتي كانت تحبها كثيراً وتركت لها إرثاً بسيطاً. لعلها أدركت أن إيفي ستكون محظوظة جداً إذا ما تمكنت من الاحتفاظ بفلس واحد من ممتلكات والدها القليلة.

بعد وفاة والدهما منذ شهر تقريباً بسبب إصابته بسكتة دماغية، راحت المشادات الكلامية نفسها تتكرر يومياً. كانت إيفي منهمكة بالبحث عن مكان تقيم فيه بينما حرصت راشيل على الاتصال يومياً بالمحامي الذي أوكلت إليه مهمة التثبت من صحة الوصية. جلّ ما كان يهمها هو الحصول على المال لاسيما بعد أن نجحت في إقناع والدها بأن يغير وصيته لتتمكن من الاستيلاء على كل شيء بعد وفاته.

وعلى الرغم من أنه لم يكن يهتم لأمرها كثيراً، إلا أنّ إيفي حزنت حزناً شديداً على فقدانه ولم تفارقه لحظة واحدة أثناء احتضاره. فقد عاش حياته وهو مقتنع تمام الاقتناع بأن راشيل ملاك من السماء، فكرس لها حياته كلها، وأورثها كافة التعويضات ومجوهرات العائلة التي رهنتها راشيل بعد وفاته بوقت قصير. بالتالي، وجدت إيفي نفسها مرغمة على الاهتمام بشؤون المنزل، والاعتناء بالفناء الخارجي فضلاً عن تحضير الطعام للجميع ما حرمها من الاستمتاع بحياتها على غرار سواها من بنات جيلها. حتى الفتيان القلائل الذين واعدتهم، كانوا يهجرونها ما إن تقع أعينهم على أختها الكبرى. كانت هذه الأخيرة تجد لذة كبيرة في سرقتهم من أختها الصغرى لتتخلى عنهم بعد أيام قليلة. عندما قررت راشيل السفر إلى نيويورك لتتابع دروساً في المسرح، اضطر والدها إلى رهن المنزل ليؤمّن لها إيجار شقتها، وإلى الاقتصاد في المصروف إلى أقصى حد فضلاً عن حرمان إيفي من شراء الفساتين. ولما حاولت أن تعترض على عدم المساواة في معاملتهما، اتهمها

والدها بالغيرة من أختها مدعياً أن راشيل بحاجة إلى مصروف أكبر لأنها جميلة وتواجه تحديات عاطفية.

وكان هذا الكلام يعني عملياً أن راشيل لا تفكر في أحد سوى نفسها. لكنها تمكّنت من إقناع والدها بأنها تحبّه حباً لا يوصف، وملأت رأسه بالأكاذيب عن إيفي، وبلغ منها الخبث حد اتهامها بالتسلل ليلاً من المنزل لمقابلة الرجال وبسرقة النقود من مرآب السيارات حيث كانت تعمل مرتين في الأسبوع في مسك الدفاتر. وعلى الرغم من احتجاجها بشدة، لم تتمكن إيفي من إقناعه بأنها بريئة ولا تجذب الرجال على الإطلاق.

قالت إيفي بنبرة هادئة: «عليّ أن أتعلم مسك الدفاتر لأتمكن من إعالة نفسي».

أجابتها راشيل ساخرة: «قد تتزوجين يوماً ما من رجل ثري إذا ما تمكنت من العثور على واحد أعمى. مع أنني لا أتوقع أبداً أن تجدي عريساً مناسباً في جاكوبزفيل».

- أنا لا أبحث عن زوج يا راشيل. جلّ ما يهمني الآن هو أن أنهي تعليمي.

- هذا صحيح. يا له من مستقبل بائس في انتظارك!

أخذت راشيل رشفة من شرابها وتابعت تقول: «سأخضع في الغد لتجربة أداء لمسرحية ستُعرض في برودواي. يقول جيري إن نجاحي مضمون لأنه قادر على التأثير في المخرج».

لم تكن إيفي ساخرة بطبعها لكن راشيل تثير عصبيتها: «ظننت أن جيري لا يحبذ فكرة عملك».

ساد صمت عميق عند الطرف الآخر من الخط.

- ليس لدى جيري أي مانع لكنه يفضّل أن نقيم معاً ليتسنى له أن يهتم بي.

www.rewity.com Breathless

أجابت إيفي برباطة جأش: «تقصدين أنه يزوّدك بالمخدرات والمواد المثيرة للنشوة ليسلبك ثروتك».

ولم تضف أن جيري يستغلّ جمالها ويستخدمها كطعم لاصطياد الزبائن الجدد. كان يرافقها إلى الحفلات الصاخبة حيث يتحدّث عن براعتها في التمثيل، لكنه مجرد كلام فهي بالكاد تتذكر اسمها أو نصّ دورها وهي تحت تأثير المخدرات.

- جيري قادر على الاعتناء بي فهو يعرف شخصيات بارزة في عالم المسرح وسيعرفني على أحد منتجي المسلسل الكوميدي الجديد. سأشق طريقي إلى برودواي مهما كلفني الأمر.

وبعد لحظة صمت، أضافت راشيل: «وإذا أردت الدخول في جدال، فمن الأفضل ألا نتحدث أبداً».

- لا أريد الجدال...

- لكنك توجّهين الانتقادات لجيري باستمرار!

أحست إيفي وكأنها تقف عند حافة جرف تنظر إلى قعر العالم. سألتها وقد عادت بالذاكرة إلى الزيارة الوحيدة التي قامت بها راشيل بعد وفاة والدهما بوقت قصير: «هل نسيت ما فعله بي؟».

كانت زيارة قصيرة جداً لم تدم أكثر من أربع وعشرين ساعة، رافقها خلالها صديقها جيري الذي لا يطاق. جاءت راشيل لتوقّع على الأوراق الخاصة بإحراق جثة والدهما بغية وضع رماده إلى جانب رماد زوجته، والدة ابنتيه. جرت العملية بشكل سريع ومثير للاشمئزاز، وبقيت بعدها إيفي أسيرة حزنها على والد لم يحبها يوماً وأساء معاملتها إلى أقصى حد. فقد كانت إيفي صاحبة قلب كبير لا يعرف معنى الحقد. أما راشيل، فتظاهرت بالبكاء في المكتب المعني بشؤون الدفن، مع أن عينيها لم تكونا حمراوين أو مغرورقتين بالدمع. كان مجرد تمثيل كما هو الحال دوماً معها.

- على الرغم من الاتهامات التي وجهتها له، أكد لي جيري أنه لم يعطك أي مخدر.

صرخت إيفي ساخطة: «راشيل! لست معتادة على الكذب. كنت أعاني من الصداع، فاستبدل دوائي المعتاد بمخدر قوي جداً. عندما رأيت ما حاول أن يعطيني إياه، رميته في وجهه. كان يحسبني مريضة جداً ولن ألاحظ ما يفعله. يا له من سافل غبي! أراد أن يجعلني مدمنة على المخدرات مثلك تماماً».

صرخت راشيل قائلة: «متى ستنضجين يا إيفي؟ لست مدمنة على الإطلاق! فالجميع يتعاطى المخدرات بمن فيهم سكان تلك البلدة الريفية التي تقيمين فيها. ألم تسألي نفسك يوماً من أين كنت أتزود بالمخدرات قبل انتقالي للعيش في نيويورك؟ فالتجار متوفرون في كل مكان وكنت أعرف أين أجد ما أريد. كم أنت ساذجة يا إيفي».

- ما زال عقلي سليماً.

- احفظي لسانك يا فتاة وإلا سأحرص على ألا تنالي فلساً واحداً من أموال والدي.

- لا تقلقي، لم أتوقّع يوماً أن أنال أيّ شيء منه فقد نجحت في إقناع والدي بأنني فتاة سيئة لئلا يترك لي أيّ إرث أبداً.

- يكفي أنك ورثت ذلك المبلغ الزهيد من العمة هيتي، مع أنه كان من حقي. أنا أستحقه أكثر منك لاسيما وأنني كنت في نظر الجميع فتاة تافهة لا قيمة لها.

أجابت إيفي بنبرة مليئة بالتحدي: «لو حصلت يا راشيل على ما تستحقينه بالفعل، لكنت الآن خلف القضبان».

أطلقت راشيل شتيمة مكبوتة ثم قالت: «علي أن أقفل الخط إذ وصل جيري إلى المنزل. اسمعي، أريد منك أن تتصلي بالمحامي لتتأكدي من سبب التأخير. لا يمكنني تحمل نفقات هذه الاتصالات

البعيدة المدى».

- لكنك لا تدفعين أبداً... فلكما اتصلت بي، طلبت تحويل كلفة الاتصال إلى حسابي.

- أنجزي المعاملات بسرعة لترسلي لي الشيك في أقرب فرصة ممكنة. ولا تتوقعي مني أن أعاود الاتصال بك إلا بعد أن تصبحي مستعدة للتحدث معي كفتاة ناضجة وليس كفتاة مدللة حاقدة.

وأقفلت الخط في وجهها فأقفلت إيفي بدورها هاتفها الخلوي برباطة جأش. لن تصدق راشيل أبداً أن جيري، فارسها المدرع بدرع لامع، هو مجرد تاجر مخدرات متطفل على المجتمع، له سوابق اجرامية ويحتجزها رهينة عنده بعد أن حوّلها إلى مدمنة. حاولت إيفي خلال السنوات الماضية أن تلفت انتباه أختها الكبرى إلى هذا الأمر لكن من دون جدوى. صحيح أن الفتاتين لم تكونا مقربتين يوماً، لكن منذ أن تورطت راشيل في علاقة مع جيري وباتت مدمنة على المخدرات، لم تعد قادرة على الإصغاء إلى صوت العقل. ففي الأيام الخوالي، كانت راشيل تظهر لأختها نوعاً من العاطفة رغم أنها صعبة المراس منذ نعومة أظافرها. لكن معاملتها لها تغيرت كلياً مع وصولهما إلى الصفوف الثانوية إذ انقلبت راشيل ضدها وكأنها عدوتها اللدودة، من دون أن تفهم إيفي حقيقة ما حصل. ومع إدمانها على المخدرات، ازدادت طباعها سوءاً. ولم تشعر إيفي بالارتياح إلا يوم انتقلت أختها للعيش في نيويورك، بعد أيام قليلة من انفجار بركان غضبها بصورة غير متوقعة. إنما يبدو أنها كانت قادرة على إثارة المشاكل عن بعد، كلما شعرت برغبة في ذلك.

عبرت إيفي الرواق بسرعة لتتمكن من الانضمام إلى رفاق صفها وقد أحست بحماستها للدرس تتلاشى شيئاً فشيئاً. لم تكن ترغب في أن تمضي حياتها في العمل لحساب شخص آخر، لكنها لم تشأ أيضاً أن

تسافر إلى نيويورك لينتهي بها الأمر كخادمة أو طاهية لدى أختها، تماماً كما كان حالها قبل أن تغادر أختها جاكوبزفيل.

لم تجد أمامها حلاً أفضل من التخلي عن حصتها في الميراث لصالح راشيل. فقد كانت تدرك أن أي خيار في العالم أفضل بكثير من العيش مع راشيل من جديد، حتى وإن اضطرت لتحمّل تصرفات ستيوارت، شقيق ميري يورك، للحفاظ على الصداقة الحميمة التي تربط بينهما.

جاء يوم الجمعة، وأحست إيفي بموجة من الارتياح تغمرها بينما هي تغادر المعهد متوجهة إلى منزلها برفقة زميلتها في السكن، ليتا داوسن، التي تعمل كمدرّسة في المعهد. خضعت لامتحان في اللغة الانكليزية وكانت واثقة من نجاحها فيه. لكن الطباعة تحبط عزيمتها إذ لم تكن قادرة على طباعة أكثر من خمسين كلمة في الدقيقة.

أوقفتا السيارة أمام المنزل حيث تقيمان. كانت إيفي محبطة كلياً لأنها وجدت نفسها مرغمة على ترك منزل والدها بعد أن عجزت عن دفع فاتورة الكهرباء. كما أنّ راشيل وقعت على الأوراق اللازمة لعرض المنزل للبيع حين وقّعت على الأوراق الخاصة بالتثبت من صحة الوصية في مكتب المحامي المحلي. وبما أن إيفي لم تكن قد تجاوزت التاسعة عشرة من العمر ولا يمكنها الاهتمام بالشؤون القانونية، أغوت راشيل المحامي الجديد وأقنعته بأن يهتم بمسألة التثبت من صحة الوصية كما أقنعته بأن إيفي بحاجة إلى من يرعاها ومن الأفضل لها أن تنتقل للعيش في منزل خاص بالأشخاص الذين يحتاجون لرعاية. بعدئذ، سافرت إلى نيويورك، تاركة إيفي تتنعم بثروة عمتها الصغيرة وتعمل بدوام جزئي في مرآب للسيارات في المدينة بغية تأمين نفقات إقامتها. ولم تتكبد راشيل يوماً عناء السؤال عما إذا كانت أخته قادرة على إعالة نفسها.

حاولت ميري حث ستيوارت على مساعدة إيفي في الاعتراض على

www.rewity.com Breathless

الطلب الذي تقدمت به راشيل لوضع يدها على الجزء الأكبر من الإرث لكن إيفي أصيبت بنوبة هستيرية عندما علمت بالأمر. كانت تفضل العيش في علبة على أن يتحكم ستيوارت بحياتها. لم تشأ أن تخبر صديقتها المفضلة أن شقيقها يرعبها لئلا تطرح ميري الكثير من الأسئلة عن الأسباب إذ كانت إيفي تحتفظ لنفسها بأسرار ماضيها ولا تحب أن يشاركها فيها أحد..

- سأذهب لزيارة أبي في عطلة نهاية الأسبوع.

وابتسمت ليتا ذات العينين اللوزيتين والشعر الأسود للفتاة الشابة وأضافت قائلة: «ماذا عنك؟».

ابتسمت إيفي بدورها وتنهدت قائلة: «وعدتني ميري بأن ترافقني إلى السوق فقد أجد شيئاً أحلم بالحصول عليه».

- ستلتقين يوماً ما رجل أحلامك الذي سيعاملك كما تستحقين... سترين.

كانت إيفي أعلم منها بالمسألة لكنها اكتفت بالابتسام. لم تكن تتطلع لأن تسلّم زمام أمور حياتها إلى أي رجل فقد سئمت العيش أسيرة الخوف.

توجهت نحو الباب الجانبي واختلست النظر منه بغية التأكد مما إذا كانت السيدة براون في المنزل. وعندما لم تجد أحداً، خطر لها أنها خرجت للتسوق. فقد جرت العادة أن تتناول إيفي طعامها في عطلة نهاية الأسبوع برفقة السيدة براون وليتا داوسون وغيرها من المستأجرين. كانت إيفي وليتا تعملان بالتناوب على تحضير الطعام وتنظيف المطبخ بغية مساعدة السيدة براون الطاعنة في السن في الأعمال المنزلية. شعرت بالارتياح لأنها لن تضطر إلى التوجه إلى المدينة بغية شراء سندويش. صحيح أنه كان بإمكانها أن تطلب البيتزا من المطعم لكنها ملّت ذلك. كانت تحب المنزل الذي تقيم فيه، وتجد رفقة ليتا لطيفة

رغم أنها تكبرها سناً. وقد انفصلت ليتا مؤخراً عن زوجها وهي تفتقده إلى درجة تفوق التصور ما دفعها إلى البحث عن عمل كمدرّسة في المعهد المهني المحلي. كانت إيفي ترافقها يومياً إلى المعهد وتتقاسمان كلفة الوقود.

لم تكد تضع حقيبة يدها جانباً حتى رن هاتفها الخلوي. وسمعت عند الطرف الآخر صوت صديقتها المفضلة ميري يورك المفعم بالفرح والبهجة وهي تقول: «إنها عطلة نهاية الأسبوع».

- لاحظت ذلك. كيف جرت الامتحانات؟

- أظن أنني سأتمكن من النجاح في أحدها لكنني لست واثقة في أي واحد منها. لكن لا تقلقي، فأنا مصممة على التخرج حتى وإن اضطررت إلى إعادة كل صف ثلاث مرات.

- أحسدك على روحك المعنوية العالية.

- ما رأيك لو تأتين لتمضي عطلة نهاية الأسبوع برفقتي؟

ارتعش قلب إيفي بين ضلوعها وردّت: «أشكرك لكنني مشغولة جداً».

قاطعتها ميري قائلة بنبرة جافة: «إنه في أوكلاهوما.. ذهب لتفقّد بعض رؤوس الماشية».

ترددت إيفي قليلاً... ثم قالت لها: «هل يمكنك أن تدوّني هذا الكلام خطياً وتوقّعي عليه؟».

- لكنه معجب بك.

- يبدو أنه بارع جداً في إخفاء إعجابه الشديد بي...

واردفت إيفي قائلة: «أحبك كثيراً يا ميري لكنني لا أريد أن أكون كبش محرقة. كان أسبوعي حافلاً وحصلت اليوم مشادة كلامية أخرى مع راشيل».

- عبر الهاتف؟

www.rewity.com Breathless

- طبعاً.

- بشأن السير لانسلوت، أمير المخدرات.

- تعرفينني جيداً.

ضحكت ميري وقالت لها: «هل نسيت أننا كنا مقربتين جداً من بعضنا منذ الدراسة الثانوية؟».

- أجل، الفتاة الجديدة وتلك الأشبه بالغلام. . يا لنا من ثنائي غريب! حسناً، لمَ تريدين أن أمضي عطلة نهاية الأسبوع برفقتك؟

أجابتها ميري بنبرة عابثة: «لأسباب أنانية صرف. أحتاج إلى شريكة في الدرس وجميع زملائي في الصف ينوون الاستمتاع بوقتهم في عطلة نهاية الأسبوع».

- لا يهمني أن أستمتع بوقتي. جلّ ما يهمني هو أن أتخرّج وأجد وظيفة.

- لكنك ورثت حساب توفير وبعض الأسهم.

كان كلامها صحيحاً، لكن راشيل وضعت يدها على معظم الأموال النقدية وكافة الأسهم.

أجابت إيفي بنبرة جافة: «وأنت ورثت ستيوارت عن والديك».

- لا تذكّريني.

- لست أفضل حالاً مني فقد أورثك والداك ستيوارت.

قالت ميري برقة: «إنه أخ عظيم تحبه النساء. .».

- باستثنائي أنا. . . أقسم لك بأنني لست قادرة على تمضية عطلة نهاية الأسبوع برفقة ستيوارت، لاسيما وأنّ الامتحانات النهائية على الأبواب وراشيل تنغص علي حياتي.

أجابت صديقتها: «لكنك بارعة في الرياضيات ولست مضطرة لأن تدرسي».

- لست بارعة في الرياضيات لكنني أواظب على حل التمارين على

مدى أربع ساعات يومياً لأبدو ذكية.

انفجرت ميري بالضحك، وقالت: «تعالي لتمضية عطلة نهاية الأسبوع معي. ستعد لنا السيدة رودس العشاء وسيتسنى لنا مشاهدة القنوات الفضائية طوال الليل. يمكننا أن ندرس ونشاهد فيلم المغامرات الجديد».

أحست إيفي برغبة شديدة في الموافقة على طلب صديقتها، ففي عطلة نهاية الأسبوع، تبقى الأطعمة الجاهزة سيدة الموقف. وثارت معدة إيفي لمجرد تفكيرها في البيتزا أو المزيد من الدجاج بصلصة التاكو.

- أظن أنني بحاجة ماسة إلى وجبة شهية معدة في المنزل.

- إذا أخبرت السيدة رودس بأنك آتية فستعدّ لك فطيرة الكرز.

- اتفقنا. سأوضّب ملابسي وأراك بعد ثلاثين دقيقة، شرط أن أجد سيارة أجرة.

- يمكنني أن أمرّ لاصطحابك.

أجابت باعتداد شديد بالنفس: «لا داعي لذلك. يمكنني أن أدفع الأجرة للسائق فلست معدمة إلى هذا الحد».

لكنها كانت معدمة فعلاً، وعليها أن تقتطع أجرة السيارة من النقود التي خصصتها للوجبات الخفيفة في الأسبوع المقبل. ستجد نفسها مرغمة على الاقتصاد في المصروف لكن كبرياءها منعتها من قبول عرض ميري.

- حسناً يا ملكة جمال الاستقلالية، سأطلب من جاك أن يترك البوابة مفتوحة.

جاءت كلماتها المهذبة الخالية من أي عجرفة لتذكّرها بأنهما تنتميان إلى بيئتين مختلفتين كلياً، فميري تقيم في قصر مدهش مترامي الأطراف، يتولى حراسته رجل مزود بالسلاح يدعى جاك، فضلاً عن

www.rewity.com Breathless

كلبين يطوفان حول المنزل طوال الليل. وإذا ما نجح أي متسلل من الإفلات من الحراسة، فسيقع حتماً بين أيدي العاملين في المزرعة، الذين خدموا في الماضي في السلك العسكري. كان ستيوارت حريصاً على اختيار الأشخاص الذي يعملون لديه بعناية فائقة لأنه يحتفظ في المنزل بقطع أثرية باهظة الثمن. كما يملك أربعة قطعان من الخيول المولدة التي يبيع منها بآلاف الدولارات ويشحنها إلى كافة أنحاء العالم.

- هل أرتدي درعاً أم ما زال شايس يتذكرني؟

كان شايس ماك لويد المسؤول عن جهاز الأمن في ملكية يورك وقد انتقل للعمل لدى ستيوارت بعد أن عرض عليه هذا الأخير راتباً مغرياً فضلاً عن العديد من الحوافز الإضافية.

وتشكّل مزرعة ستيوارت الشاسعة جزءاً من مملكة تمتد على ثلاث ولايات وتشمل عقارات، واستثمارات، وحظائر فضلاً عن شركة خاصة بمعدات تربية المواشي. كان ميري وستيوارت يملكان ثروة طائلة. ومع ذلك، لم يكن أي منهما يعيش حياة اجتماعية صاخبة إذ بدأ ستيوارت العمل في المزرعة في سن صغيرة، بعد موت والده من جراء نوبة قلبية، وكانت ميري يومها في الثالثة عشر من عمرها. يبلغ ستيوارت حالياً الثلاثين من العمر بينما تكاد ميري تبلغ التاسعة عشرة، تماماً مثل إيفي. لم يكن لديهما أي أقارب كما أنّ والدتهما توفيت وهي تضع ميري.

تنهدت ميري قائلة: «كيف يعقل أن ينساك شايس؟ والآن، ما رأيك لو تصمتي وتبدئي بتحضير أغراضك؟».

ضحكت إيفي قائلة: «حسناً، أراك بعد قليل».

أقرت إيفي في سرها بأنها لا تستطيع اتهام ميري أو ستيوارت بالاعتماد على ثروة العائلة. فقد حرص ستيوارت على الإشراف على

أعمال المزرعة بنفسه، إلا حين يسافر إلى الخارج لحضور الاجتماعات ولقاءات العمل أو لتنظيم ورش عمل. ويحمل ستيوارت شهادة في إدارة الأعمال من جامعة يال وهو يتحدث الاسبانية بطلاقة كما أنه أكثر الرجال وسامة وجاذبية على الإطلاق. ووجدت إيفي نفسها مرغمة على بذل الكثير من الجهد لتخفي إعجابها الفائق به. كان عليها أن تفعل ذلك لتحمي نفسها فستيوارت يفضّل الشقراوات ذوات القوام الرشيق اللواتي يملكنّ الكثير من المال. ولطالما سمعته يقول بصراحة إنه يمقت الزواج ويفضل العلاقات العابرة، علماً أن علاقته بأي امرأة لا تدوم أكثر من ستة أشهر.

إيفي فتاة عادية، لطيفة، لا تميل إلى التسلط أبداً. كانت تعيش في عالم مختلف كلياً عن عالم ستيوارت المليء بأشخاص يثيرون الخوف في نفسها، كما أن ماضيها لا يشمل رحلات سنوية إلى مناطق استوائية. لم تكن تحب قراءة الروايات الأدبية أو الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية أو قيادة السيارات الفخمة أو التسوق من المحلات الفاخرة بل تعيش حياة هادئة وتدرس بجهد لتؤمّن مستقبلها. من جهتها، كانت ميري طالبة في كلية التمريض وهي تقيم في مهجع الطالبات وتقود سيارة من نوع مرسيدس. كانت إيفي تشتاق كثيراً إلى رفقتها لاسيما أنه لم يعد بإمكانهما أن يلتقيا إلا عندما تعود ميري إلى المنزل في عطلات نهاية الأسبوع.

ولهذا، استغلت إيفي الفرصة ووضبت حقيبتها على عجل وغادرت المنزل. لا يمكن لميري أن تكذب عليها بشأن سفر ستيوارت لكنه غالباً ما يعود بشكل مفاجئ. لا عجب في ألا يكون ستيوارت معجباً بها فقد تعرّف إلى أختها راشيل قبل سفرها إلى نيويورك وانتقد بقسوة نمط حياتها المتحرر جداً. وظن أن أختها ستسير على الدرب نفسه ما يدل على أنه يجهل تماماً حقيقة صديقة أخته المفضلة.

www.rewity.com Breathless

مع اقتراب سيارة الأجرة من منزل ميري، تعرف جاك الحارس على إيفي على الفور فابتسم لها ابتسامة عريضة وسمح للسائق بالدخول. وتنفست إيفي الصعداء لأنها تخطت العقبة الأولى بنجاح.

سارعت ميري إلى نزول درج القصر حيث كانت تنتظرها وفتحت باب السيارة الخلفي وأحاطت إيفي بذراعيها ما أن ترجّلت هذه الأخيرة من السيارة.

كانت إيفي نحيلة القامة، متوسطة الطول، ذات شعر أشقر ناعم طويل وعينين خضراوين. أما ميري، فكانت طويلة القامة تماماً مثل أخيها، وتتميز بشعرها الأسود الداكن وعينيها البراقتين. فبدت وكأنها تنظر إلى إيفي من الأعلى...

قالت لها بنبرة مفعمة بالفرح: «كم أنا سعيدة برؤيتك. أشعر أحياناً وكأن جدران المنزل تطبق على صدري فهذا المنزل كبير جداً علينا».

- أتمنى أن تتزوجا يوماً وتملآ المنزل بالأولاد.

- ستيوارت لا ينوي الزواج أبداً.. هيا بنا.. أين حقيبتك؟

- في صندوق السيارة.

وكان سائق السيارة قد سبقهما إلى الصندوق وأخرج منه الحقيبة وحملها إلى المنزل. وقبل أن تتمكن إيفي من إخراج حقيبة يده، دسّت ميري مبلغاً محترماً في يد السائق وودعته بلكنتها الاسبانية المميزة.

أرادت إيفي أن تعترض، لكن سيارة الأجرة كانت قد انطلقت فيما سبقتها ميري إلى درج المنزل الأمامي قائلة لها: «لا داعي للجدال. تعلمين أنك لن تتمكني من التغلب علي».

تنهدت إيفي وأجابتها قائلة: «معك حق... شكراً يا ميري ولكن..».

- أعلم أن مصروفك في الأسبوع لا يتجاوز الثلاثة دولارات وعليك أن تفوتي وجبة غداء في المعهد لتتمكني من دفع الأجرة.

ثم أضافت بصوت هادئ: «لو كنت مكاني، لتصرّفت بالطريقة نفسها».

لزمت إيفي الصمت مع أن ما حصل جرح كبرياءها.

- يوماً ما، ستصبحين امرأة ثرية وصاحبة شركة محاسبة وستشترين سيارة رولس رويس... عندئذ، يمكنك أن تسددي لي ما دفعته، اتفقنا؟

انفجرت إيفي ضاحكة وأجابتها: «لا يمكن لأي محاسب أن يجمع ما يكفي من المال لشراء سيارة رولز رويس لكني أعدك بأن أسدد لك كل ما دفعته عني».

- هيا بنا ندخل.

كان المنزل فسيحاً جداً. وأدركت إيفي أن ما يميّز الفقير عن الغني هو المساحة. فمن يملك مالاً وفيراً، يستطيع أن يؤمّن منزلاً فيه الكثير من الغرف، ويمكنه أن يشتري أيضاً قطعة من الأرض ليتمتع ببعض الخصوصية ويزرع الأشجار والورود..

سألتها ميري فيما هما تصعدان السلم: «ما الذي تفكرين فيه؟».

- المساحة.

- الخارجية؟

- كلا، المساحة الشخصية. كنت أفكر في أن المساحة التي يمتلكها المرء تتوقف على حجم ثروته. ليتني أملك فناءً خارجياً وحوضاً للأسماك.

- يمكنك أن تطعمي سمكتنا الذهبية ساعة تشائين.

اكتفت إيفي بالإيماء برأسها. إنها المرة الأولى التي تلاحظ فيها الشبه الشديد بين ميري وأخيها، شبه يتجلى في طول القامة ونحولها والشعر الأسود الكثيف الذي يتوج رأسيهما. إلا أنّ شعر ميري كان

www.rewity.com Breathless

طويلاً فيما اختار ستيوارت لنفسه قصة قصيرة وتقليدية. أما عيناها الزرقاوان الشاحبتان، الشبيهتان بعيني ستيوارت، فتتحولان إلى قطعتين خطيرتين من الفولاذ كلما استشاطت غضباً. لكن هذا لا يعني أن طباع ميري تحاكي طباع أخيها إذ غالباً ما كانت إيفي ترى الرجال يختبئون في الحظائر عند مرور ستيوارت. لم تكن عيناه الغامضتان الدليل الوحيد على طباعه السيئة فمشيته تدل أيضاً على مزاجه العكر. فذلك الشاب الذي يتنقل عادة بخفة، تتحول خطواته إلى خطى بطيئة عندما يتملكه الغضب. وكلما ازداد مزاجه سوءاً كلما تباطأت خطواته أكثر.

منذ أن توطدت علاقتها بميري، حرصت إيفي على أن تتأكد من أن ستيوارت يتنقّل بخفة قبل أن تدخل إلى أي غرفة يتواجد فيها. ويوم فقد أحد كلاب الصيد، تذرّعت إيفي بالصداع لتفادي الجلوس على طاولة واحدة معه على العشاء، إذ اعتاد ستيوارت أن يتهكم بشكل لاذع على كل من يلتقيه أثناء نوبة غضبه، خاصة إذا كان المسبب الرئيسي لغضبه بعيداً عن متناوله.

قادت ميري إيفي إلى غرفة النوم المجاورة لغرفتها ووقفت تتأملها وهي تخرج من حقيبتها سروالاً نظيفاً من الجينز وقميصاً قطنية بسيطة. فقطبت جبينها وسألتها: «ألم تحضري ثياباً للنوم؟».

أجفلت إيفي وأجابت: «كنت منزعجة جداً من كلام راشيل فنسيت».

- لا عليك. سأعطيك ثوباً للنوم من عندي لكن عليك أن تجريه خلفك كالذيل..

ثم قطبت جبينها وأردفت: «أفترض أن راشيل تسعى وراء النقود».

أومأت إيفي برأسها وقالت: «نجحت في إقناع والدي بأنني لا أستحق شيئاً».

- ملأت رأسه بالأكاذيب!

أومأت إيفي برأسها من جديد وردّت: «لكنه صدّق كلامها فراشيل قادرة على لعب دور الفتاة الرقيقة المحبة كي تبلغ غايتها. ووالدي كان مدمناً على..».

وتوقفت فجأة عن الكلام.

جلست ميري على السرير وشبكت يديها في حضنها قائلة: «أعرف أنه كان مدمناً. أجرى ستيوارت بعض التحريات عنه».

اتسعت عيناها ذهولاً...

- ماذا؟

وتساءلت إيفي في سرها عن حجم المعلومات التي تمكّن التحري الذي استخدمه ستيوارت من جمعها عن حياة عائلة كونلي الخاصة.

لاحظت ميري تعابير الألم على وجه صديقتها، فربتت على يدها قائلة: «أؤكد لك أن تلك الطفولة المثالية التي ترينها في أفلام الرسوم المتحركة بعيدة المنال. أراد والدي أن يرغم ستيوارت على تربية الخيول الأصيلة للمشاركة في السباقات؛ إنه حلمه الشخصي الذي لم يحققه. فأرغم ستيوارت على دخول كلية الزراعة».

وانفجرت ضاحكة وهي تضيف: «لا أحد يستطيع أن يرغم أخي على شيء، حتى والدي نفسه».

سألتها إيفي: «هل كانا متشابهين؟».

- كلا... ربما من بعض النواحي. ففي حالات غضبه الشديد، كان والدي قادراً على جعلنا نخسر أفضل الرجال العاملين عندنا. وفي الأسبوع الماضي، خسرنا أفضل مروّض للخيول لدينا بسبب طباع ستيوارت السيئة.

- كيف؟

- عندما دخل ستيوارت الحظيرة بسيارته وارتطم بجدارها الخلفي، وجّه له ملاحظة لم ترق له أبداً.

www.rewity.com Breathless

٢ - لا يعرف التسامح

وجدت إيفي نفسها عاجزة عن كبح الابتسامة التي ارتسمت على ثغرها فشقيق ميري من الأشخاص الذين يتميزون بقدرتهم على ضبط النفس ولا يفقدون اتزانهم أبداً.

- أتقصدين أن ستيوارت كان يقود سيارة الجاغوار الجديدة عندما اصطدم بالحظيرة؟

أجابت ميري بازدراء: «أخشى ذلك. يبدو أنه كان منشغلاً بالتحدث على الهاتف».

- مع من كان يتكلم؟

- أخطأ أحد المسؤولين في مزاد جاكوبزفيل العلني وباع أبقار ستيوارت الأصيلة الحامل من «بيغ بلو»، بسعر العجول التي لم تتجاوز السنتين من العمر.

فعلقت إيفي قائلة:

- لا بد أن تكلفة هذا الخطأ باهظة.

- لم تقتصر الخسارة علينا فحسب.

وأضافت بنبرة ساخرة: «جمع ستيوارت كافة العربات المقطورة لدينا، وتلك التي تمكّن من استعارتها مع سائقيها، وتوجّه إلى المزاد العلني حيث أعاد كافة الثيران والأبقار والعجول المعروضة للبيع. بعدئذ، شحنها بالقطار إلى أوكلاهوما ليعرضها في المزاد العلني. قال

إنهم سيحرصون هذه المرة على أن تُباع بالسعر الذي تستحقه، لأنه وسم السعر عليها بشكل غير ظاهر».

ابتسمت إيفي ابتسامة عريضة. كانت واثقة من أن ستيوارت لا يقدم على تصرف مماثل، حتى وإن راودته الفكرة.

- لن يبقى المزاد العلني المحلي على حاله من الآن فصاعداً. قال لهم ستيوارت إنه لن يرسل بعد اليوم أيّ مواشٍ إلى المزاد العلني.

أجابتها إيفي بنبرة هادئة: «أخوك لا يعرف معنى التسامح».

أومأت الفتاة الأخرى برأسها وقالت لها: «لكن طباعه هذه لها ما يبررها يا إيفي. كان والدي يأمل أن يسير ستيوارت على خطاه ويصبح رياضياً محترفاً. صحيح أن والدي لم يتمكّن من احتراف لعبة كرة القدم، إلا أنه كان واثقاً من أن ستيوارت سيفعل فأرغمه على ممارسة رياضة كرة القدم قبل أن ينتقل إلى المرحلة المتوسطة في المدرسة، ما جعل ستيوارت يكره هذه اللعبة».

وتابعت تقول بنبرة حزينة: «كان يتغيب عمداً عن التمارين فيعاقبه والدي بضربه بالحزام. وغالباً ما كانت الكدمات تغطي رجليه وظهره، لكن هذا زاده تصميماً على عدم احتراف الرياضة. وعند بلوغه الثالثة عشرة، هدده بالاتصال بالشرطة إذا ما ضربه مرة أخرى».

ترددت إيفي قليلاً قبل أن تتكلم إذ لم تكن مستعدة للاعتراف بما تعرفه عن التعنيف الجسدي، حتى لميري نفسها.

- وماذا قال والدك؟

- لم يقل شيئاً لكنه طلب من ستيوارت أن يصعد إلى السيارة وأوصله إلى الملعب ليشارك في تمارين كرة القدم. ولم تكد تمر دقائق حتى غادر أبي، فاستقل ستيوارت سيارة أجرة متوجهاً إلى حلبة الروديو في جاكوبزفيل حيث استأجر حصاناً للمشاركة في سباق الفتيان. نجح ستيوارت وصديقه مارتن في احتلال المرتبة الثانية. وعندما علم والدي

www.rewity.com Breathless

بالأمر، انفجر غاضباً وأخذ الكأس التي وضعها ستيوارت على رف الموقدة وحطمها. صحيح أنه لم يستعمل حزامه ثانية، إلا أنه كان يصرخ في وجهه ويحط من قدره كلما سنحت له الفرصة. ومنذ أن التحق ستيوارت بالجامعة، لم أعد يتملكني الرعب كلما عدنا إلى المنزل بعد المدرسة».

تحوّلت عينا إيفي إلى اللوحة التي تجسد والد ستيوارت وميري المعلقة فوق الموقدة. كان ستيوارت يشبه جاك يورك من ناحية طول القامة ونحولها، غير أن العجوز تميّز بفكه العنيد والبريق القاسي في عينيه الزرقاوين الشاحبتين. عاش الولدان يتيميّ الأم التي توفيت بينما هي تضع ميري فانتقلت خالتهما للعيش مع العائلة والاعتناء بميري. وبعد أن كثُر الشجار بينها وبين الأب بشأن سوء معاملته لستيوارت، اضطرت إلى مغادرة المنزل. ومنذ رحيلها، افتقد الولدان ذلك القلب الحنون الذي أغدق عليهما الحب بلا تحفظ، حب لم يتمكّنا من العثور على أي أثر له في قلب والدهما المتطلب والقليل الكلام.

- لكن والدك بنى هذه المزرعة بنفسه فلا بد أنه كان يحب المواشي.

- هذا صحيح، لكن كرة القدم كانت عشقه الوحيد. أظنك لاحظت أننا لا نشاهد مباريات كرة القدم في هذا المنزل لأن ستيوارت يطفئ جهاز التلفزيون عند ذكرها.

- فهمت الآن السبب.

- كان والدي يهتم بإدارة المزرعة وشركة العقارات في الوقت الفاصل بين مباراة وأخرى. عند بلوغي الثالثة عشرة من عمري، توفي والدي إثر إصابته بذبحة قلبية في القاعة المخصصة لعقد جلسات مجلس الإدارة. يُقال إنّ مشادة كلامية عنيفة حصلت بينه وبين أحد المدراء حول بعض الاقتراحات التوسعية التي يمكن أن تؤدي بالشركة إلى

الإفلاس. كان والدي رجلاً مغامراً، على عكس ستيوارت الذي يدرس كافة خطواته قبل أن يتخذ أي قرار. لا أذكر أنّ أي خلاف وقع بينه وبين أعضاء مجلس الإدارة.

وراحتا تأكلان الجبنة والبسكويت المملح والسندويشات والكعك ثم ارتشفتا القهوة في جو من السكون المطلق.

- هل أنت واثقة يا إيفي من أنك ترغبين في أن تصبحي محاسبة؟

ضحكت إيفي وأجابتها قائلة: «ما الذي يجعلك تطرحين هذا السؤال؟».

- تذكّرت الأيام التي أمضيناها معاً في المدرسة الثانوية. كنت مصممة على أن تصبحي مغنية أوبرا.

- لكن القدر لعب دوره.

وارتسمت على ثغرها ابتسامة، ثم أردفت: «المشكلة هي أنني لم أرغب في العيش بعيداً عن جاكوبزفيل، سواء أتمكّنت من تأمين المال الكافي لأتابع دراستي في نيويورك أم لا، ما جعل خياراتي محدودة جداً».

وافقتها ميري الرأي قائلة: «عليك أن تتزوجي، وتنجبي الأولاد وتعلميهم الغناء».

وابتسمت ميري ابتسامة عريضة ثم أضافت: «كم تبدو صورتك وأنت محاطة بالأطفال طبيعية».

- تبدو لي فكرة جيدة.. ما رأيك لو تجمعين حوالى عشرة شبان عازبين، يتمتعون بالمواصفات المطلوبة، لأختار واحداً منهم؟

انفجرت ميري بالضحك وتردد صدى ضحكتها الرنانة في الغرفة ثم أجابت: «لو كان هذا ممكناً، لوجدت عريساً لنفسي. لكن علي أن أعثر على رجل لا يهاب ستيوارت».

- هايس كارسون لا يهاب ستيوارت.. يمكنك الزواج به.

www.rewity.com Breathless

- هايس لا يريد الزواج. يقول إنه يفضّل ألا يفسد حياته بالمشاعر المعقدة.

- يا له من جبان..

- هذا لا يعني أنه لا يتحلى بالشجاعة لكنه لا يؤمن بنجاح العلاقات الزوجية. كان والداه يتشاجران باستمرار ما دفع شقيقه الصغير إلى تعاطي المخدرات. يُقال إنه مات إثر تناوله جرعة زائدة. لا شك أن فقدان شقيقه الوحيد ترك أثراً كبيراً فيه.

- قد يقع في الحب يوماً ما.

أجابتها ميري مازحة: «وأخي أيضاً. لكن لو كنت أميل إلى المراهنة لما راهنت على هذا أبداً».

- الحب هو أعظم عامل يساعد على تحقيق التوازن..

قالت ميري، طالبة العلوم التمريضية: «الحب هو عبارة عن تفاعل كيميائي. إنه مجرد رد فعل جسدي يدفعنا إلى المساهمة في عملية التكاثر».

لوت إيفي شفتيها ساخرة وسألتها: «ما هذا الكلام الفظ يا ميري؟».

- هذا صحيح.. إسألي أستاذ علم الاحياء في الكلية.

- لا، شكراً لك. أفضل الاحتفاظ بوجهة نظري البالية.

ضحكت ميري ثم قطبت جبينها وسألتها: «ما الذي تأكلينه يا إيفي؟».

علت إمارات القلق وجه ميري وأضافت: «إنها قطعة من البسكويت المغطى بالشوكولا. هل نسيت أنك تصابين بداء الشقيقة كلما أكلت منه؟».

- لكنها مجرد قطعة صغيرة.

- اسمعي، راشيل لم تكف عن إزعاجك والضغط عليك منذ وفاة والدك كما أن والدك فارق الحياة منذ بضعة أسابيع فقط ما يعني أن

العوامل المحفزة كثيرة جداً، حتى وإن كنت لا تدركين ذلك. هل تعلمين أن ستيوارت يعاني أيضاً من الشقيقة كلما أكل الجبنة المخمرة؟.

عادت إيفي بالذاكرة إلى نوبة الصداع الفظيعة التي أصابته بعد أن أتم صفقة تجارية صعبة وكبيرة. حصل ذلك في اليوم الذي تلا مشاركته في حفل موسيقي نظمته مدرسة ميري وإيفي وذلك بعد مرور فترة وجيزة على توطد علاقة الصداقة بين الفتاتين. واقترحت إيفي يومها على ستيوارت أن يشرب فنجاناً من القهوة السوداء ويستشير طبيباً. فمنذ نعومة أظافرها، بدأت أعراض داء الشقيقة تظهر على إيفي، تماماً مثل والدتها وجدتها لأبيها. ومع أن ميري لم تكن تعاني منه، إلا أنّ إيفي علمت أن والدها كان يعاني من الشقيقة وعمها كذلك.

علّقت ميري قائلة: «أعطاه الطبيب دواءً للوقاية بعد أن شخّص نوع الصداع».

- لا يمكنني أن أتناول الدواء الوقائي لأنني أعاني من مشكلة في القلب وأخشى أن تتسبب الأدوية في تسارع نبضاته. لذا، علي أن أعالج الأعراض بدلاً من المرض نفسه.

- أرجو أن تكوني قد أحضرت دواءك معك.

نظرت إيفي إلى قطعة البسكويت بالشوكولا وأعادت ما تبقى منها إلى الطبق والحزن بادٍ على وجهها.

- نسيت..

قالت ميري: «يتناول ستيوارت دواء مسكّناً للألم إلى جانب الدواء الوقائي. إذا استيقظت في الليل وأنت تصرخين من شدة الألم بسبب قطعة البسكويت التي تناولتها، فيمكننا معالجة الأمر.. أتمنى أن تدعك راشيل وشأنك بعد تسوية موضوع الإرث الذي تركه والدك».

هزت إيفي رأسها وأجابت: «لن يهنأ لها عيش قبل أن تضع يدها

www.rewity.com Breathless

على كل فلس تركه والدي. لقد أقنعت والدي بأنني همجية فلم يأتِ على ذكري في الوصية».

- لكن لا بد أن والدك كان يعرف أنك لست كذلك.

ضحكت إيفي وقالت: «كلا، لم يكن يعرف شيئاً».

ولم يحاول أن يتأكد من صحة كلامها. فقد اعتاد الإسراف في شرب الكحول. وكلما ثمل، استغلت راشيل الفرصة لتملأ رأسه بأكاذيب عن أختها تترك في نفسه وقعاً رهيباً وتشفي غليلها.

طردت إيفي من رأسها ذكريات الماضي الأليمة وأرغمت نفسها على الابتسام قائلة: «إذا كان احتفاظ راشيل بممتلكات أبي كلها يساهم في بقائها في نيويورك وبعيداً عن حياتي فلا مانع عندي على الإطلاق».

- هذا ليس عدلاً. لم يسبق لنا أن واجهنا مشكلة مشابهة لأن ستيوارت وزّع الأموال كلها بالتساوي بيني وبينه. يقول إننا من أب واحد ولا ينبغي أن يحظى أي منا بحصة أكبر من الآخر.

قطّبت إيفي جبينها قائلة: «هل هذا يعني أن حصة أحدكما كانت أكبر من حصة الآخر؟».

- في وصيته، خصص والدي خمسة وسبعين بالمئة من أمواله لستيوارت. حاول هذا الأخير أن يعترض لكن والدي كان في كامل قواه العقلية. وبعد أن تم التثبت من صحة الوصية، قام من تلقاء نفسه بتوزيع الأموال بالتساوي بيننا. أعلم أنك لا تحبينه لكنه أخ مثالي.

ليس صحيحاً أنها لم تكن تحبه لكنها تخشاه. ففي نوبات غضبه، كان ستيوارت قادراً على زرع الرعب في قلب امرأة أمضت حياتها كلها تحاول أن تتفادى عنف الرجل. حسناً، عليها الاعتراف بأن الأمر لا يقتصر على الخوف فستيوارت يثير فيها إحساساً غريباً كلما تواجدت قربه، ويجعلها تتوتر.

أقرّت ايفي: «إنه يحسن معاملتك».

- ويحبك.. أنا لا أمزح، إنه معجب جداً بالجهد الذي تبذلينه لمتابعة تحصيلك العلمي. وقد ثار عندما علم أن راشيل استولت على المنزل وتركتك من دون مسكن، واتصل بالمحامي في محاولة منه لإصلاح الأمور لكن من دون جدوى، إذ من الصعب جداً التشكيك في الوصية.

تفاجأت إيفي لدى معرفتها أن ستيوارت أراد مساعدتها إذ لطالما شعرت بأنه يمقتها، ويتحمل وجودها في المنزل على مضض لأنها صديقة ميري المفضلة. في الواقع، كان يتفادى الحضور إلى المنزل كلما علم أن إيفي جاءت لزيارتهم.

همست ايفي ساهمة: «لعله يخشى أن يقع تحت تأثير سحري الفتّاك. أظنه يخاف من الوقوع في حبائلي.. لكن ما هي الحبائل بالضبط؟».

- لو كنت أعرف الجواب، لتمكّنت من العثور على صديق لكنني لا أعرف. ولا أعتقد أنني سأرتبط بأي علاقة جدية قبل أن أتخرج من كلية التمريض. وفي هذه الأثناء، سألهو وأستمتع بوقتي. ثمة طبيب مقيم في المستشفى يعجبني كثيراً، وهو يدعوني للخروج من حين إلى آخر، لكنني لم أخبر أحداً بالأمر. هل من طالب زواج تخفين أمره عني؟.

هزّت إيفي رأسها بالنفي وأجابت: «لا أفكر في الزواج أبداً».

- لماذا؟

- ما من رجل يستطيع العيش معي.

ضحكت ميري وقالت: «هذا غير صحيح».

- على أيّ حال، أنا أشبهك من نواح عدة. أريد أن أتخرج وأجد عملاً. لطالما حلمت بأن أجمع ثروة صغيرة لأتمكن من إعالة نفسي. فمنذ صغري وأنا أعيش في الظل إذ كان والدي يخشى أن يفقدني ما جعله يمنع أي فتى من التقرّب مني. كنت بالنسبة إليه مجرد خادمة

www.rewity.com Breathless

مجانية: فراشيل لا تجيد الطهي أو غسل الملابس أو مسح الأرض.

لزمت ميري الصمت. كانت تدرك في قرارة نفسها أنها الحقيقة فقد تعرضت إيفي للاستغلال من قبل أقرب الناس إليها الذين يفترض بهم أن يدللوها. وعلى الرغم من أنها لم تحاول التطفل يوماً، إلا أنّ ميري لاحظت أن إيفي تتفادى التحدث عن والدها.

سألتها ميري برقة: «أنت تخفين عني أسرارك، أليس كذلك؟».

فسارعت إيفي إلى الاعتراض لكن ميري رفعت يدها مردفة: «لا أريد التطفل. لكن إذا شعرت يوماً برغبة في التحدث إلى أحد فيمكنك الاتصال بي».

- أعلم هذا. شكراً.

- ما رأيك الآن لو نشاهد فيلماً؟ كنت أفكر في ذلك الفيلم الخيالي الذي حقق نجاحاً منقطع النظير..

ولما ذكرت اسمه، ابتسمت إيفي وقالت لها: «كنت أتحرق شوقاً لمشاهدته لكني لم أشأ الذهاب إلى السينما وحدي».

- سأطلب من السيدة روديس أن تعد لنا الفوشار. أظن أنها قد ترغب في مشاهدته معنا فحياتها الاجتماعية معدمة.

سألتها إيفي بحذر: «أليست متزوجة؟».

- كانت متزوجة من مهندس في الجيش، سافر في مهمة إلى الخارج ولم يرجع. لم يرزقا بأطفال وعاشا وحيدين لأكثر من عشرين سنة. بعد اختفاء زوجها، جاءت إلينا تطلب عملاً لتعيل نفسها. كان زوجها يتقاضى راتباً جيداً ما جعلها تكتفي بالعمل كسكرتيرة بدوام جزئي، طوال فترة زواجهما. بعد رحيله، جاءت تبحث عن عمل مؤقت عندنا لكنها قررت لاحقاً البقاء معنا.

- إنها لطيفة جداً.

وافقتها ميري الرأي قائلة: «إنها من النوع المحب، حتى أنها

نجحت في احتضان ستيوارت، مع أن أحداً لم يجرؤ على القيام بذلك قط من قبل».

لم تشأ إيفي التعليق على كلامها واكتفت بالإيماء برأسها.

كانت إيفي منهمكة بتصفّح دليل البرامج على شاشة التلفزيون عندما دخلت ميري وبرفقتها امرأة مكتنزة، قصيرة القامة، رمادية الشعر.

ابتسمت لها إيفي قائلة: «مرحباً سيدة روديس».

- تسرّني رؤيتك يا إيفي.. إنني أعد الفوشار. ما اسم الفيلم الذي سنشاهده؟

- قررنا مشاهدة الفيلم الخيالي الأخير..

- فكرة مدهشة..

وأطلقت السيدة روديس ضحكة خافتة وتابعت: «شاهدته في صالات العرض لكنني أود مشاهدته ثانية، إن كنتما لا تمانعان».

- يسرنا حضورك.

- حسناً، سأحضر الفوشار وأعود في الحال.

- سأقوم بتشغيل الفيلم.

وأخذت جهاز التحكم عن بعد من يد إيفي وتابعت: «إنها إحدى الأمور الميكانيكية التي أبرع فيها.. الضغط على الأزرار».

كان الفيلم رائعاً، لكن وقبل أن ينتهي بوقت طويل، بدأت إيفي ترى أضواءً ملونةً أمام عينيها. وسرعان ما فقدت القدرة على الرؤية بإحدى عينيها، وهذه إحدى العلامات التي تسبق أعراض داء الشقيقة.

لم تتفوّه بكلمة أمام ميري، وقررت أن تخلد إلى النوم وتواجه مصابها وحدها.

تحمّلت إيفي ألمها إلى أن انتهى الفيلم ثم تثاءبت وهبت واقفة وهي تقول: «آسفة، لكن علي أن أخلد إلى النوم. أشعر بنعاس شديد».

نهضت ميري بدورها وأجابت: «لا مانع عندي في النوم باكراً

www.rewity.com Breathless

أيضاً. هلا أقفلت الأبواب سيدة روديس؟».

- بكل سرور يا عزيزتي. هل تحتاجان إلى شيء آخر من المطبخ؟

سألتها إيفي: «هل يمكنك أن تحضري لي زجاجة من الماء؟ أنا معتادة على الاحتفاظ بزجاجة من الماء قرب سريري».

- سأحضرها في الحال. ماذا عنك يا ميري؟

هزت ميري رأسها بالنفي وردّت: «لا شكراً. شربت اليوم كمية كافية من الماء في الكلية».

سألتها إيفي عندما وصلتا إلى أعلى السلم: «وعدتني بأن تعيريني ملابس للنوم».

- وسأفي بوعدي. تعالي معي.

أخرجت ميري من خزانتها ثوباً وعباءةً ملائمة له وقدمتهما لإيفي. كان الثوب شفافاً مخرماً، ذا لون أصفر زاهٍ، وهو أجمل ما وقعت عليه عيناها. حبست أنفاسها ثم قالت معترضة: «إنه باهظ الثمن».

- لا أظن ذلك. قدّمته لي إحدى زميلاتي في عيد الميلاد لكنه لم يعجبني فأنا لا أحب اللون الأصفر. لم أشأ أن أقول لها إنني لا أحب هذا اللون، فشكرتها بحرارة ثم جلبته إلى المنزل وعلّقته في الخزانة.

- لو كنت مكانك لفعلت الشيء نفسه. إنه جميل جداً.

- سيبدو جميلاً عليك. أخلدي إلى النوم ونامي حتى ساعة متأخرة. لا نريد أن نستيقظ قبل حلول موعد الغداء.

- لا يمكنني النوم حتى الظهر مهما بذلت من جهد.

وابتسمت إيفي ثم أردفت: «اعتدت النهوض باكراً لتحضير وجبة الفطور لوالدي وراشيل، ومن ثم لوالدي وحده بعد مغادرتها المنزل».

- تستطيع السيدة روديس أن تعد لك الفطور ساعة تشائين. نوماً هنيئاً.

- ولك أيضاً.

دخلت إيفي الغرفة المجاورة لغرفة ميري. كان الحمام يفصل غرفة الضيوف عن غرفة ستيوارت غير أن إيفي لم تأبه للأمر. كان ستيوارت مسافراً إلى الخارج ويمكنها أن تستعمل الحمام من دون أن يزعجها أحد. وتوقعت أن تستعمله كثيراً إذا لم تتمكن من الاستسلام للنوم.

ارتدت ثوب النوم وراحت تتأمل نفسها في المرآة الطويلة فأثارت صورتها المنعكسة فيها استغرابها. انسدل الثوب برقة على جسمها وأبرز خصرها النحيل، ووركيها الدقيقين وساقيها الطويلتين الأنيقتين. كانت هذه المرة الأولى التي ترتدي فيها إيفي ملابس مثيرة إلى هذا الحد.

بدت بشعرها الطويل الأشقر وعينيها الخضراوين وبشرتها الناعمة أشبه بساحرة من قصص الخيال. لم تكن فائقة الجمال لكنها ليست قبيحة أيضاً فهي نحيلة، متوسطة الطول، تتميز بشفتيها الممتلئتين وعينيها الكبيرتين اللتين بدتا في تلك اللحظة غائرتين من شدة الوجع.

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب فتوجهت نحوه لتفتحه، وإذا بالسيدة روديس تقف أمامها حاملة زجاجة المياه. قالت لها المرأة الطاعنة في السن بنبرة مفعمة بالقلق: «تبدين شاحبة جداً. هل أنت بخير؟».

أجابتها قائلة: «إني أعاني من الصداع بسبب الشوكولا، لكن لا تخبري ميري لئلا تثيري قلقها. من الأفضل أن أخلد إلى النوم».

لم تقتنع السيدة روديس بكلامها إذ سبق أن شهدت نوبات الصداع التي تصيب كل من إيفي وستيوارت.

- ألديك دواء مسكّن للألم؟

أجابت إيفي كاذبة: «أجل.. أحضرت معي الأسبرين».

- حسناً، إذا احتجت إلى مسكّن أقوى فلا تتردي في إيقاظي، اتفقنا؟ فستيوارت يحتفظ بأدوية مسكّنة. والآن اخلدي إلى النوم وناديني إذا ما احتجت إلي. غرفتي في الجهة المقابلة من البهو.

- أشكرك من كل قلبي.

www.rewity.com Breathless

ارتمت على السرير الكبير الحجم وسحبت الأغطية الحريرية لتغطي نفسها. بدت الغرفة أشبه بقصر مقارنة بشقتها، وحتى الحمام كان أكبر مساحة من الغرفة التي تقيم فيها. عاشت ميري في هذه الرفاهية منذ نعومة أظافرها، في حين أن إيفي لم تذق طعمها أبداً.

كان الألم لا يُحتمل، وغالباً ما يتركّز في عين واحدة كما لو أنّ أحدهم يغرز سكيناً حادة في بؤبؤ العين. راحت إيفي تئن بصمت ووضعت قبضتها أمام عينها. وعلى الرغم من أنها استعادت بصرها، إلا أن حدة الألم عادت لتشتد من جديد.

ومع حلول منتصف الليل، اجتاحتها موجة من الغثيان وساءت حالتها إلى أقصى حد إذ تحوّل الصداع إلى نوبة من الألم المبرح. بللت فمها وعينيها بقطعة قماش رطبة واستلقت على ظهرها في محاولة منها للاستسلام للنوم لكن الألم أبى أن يسكن مع أن الغثيان بدأ يتلاشى، فقررت أن تنادي السيدة روديس. وفي طريقها إلى غرفة هذه الأخيرة، دخلت الحمام لتبلل قطعة القماش مرة أخرى.

فتحت الباب وهي تترنح يميناً ويساراً من شدة الألم، فإذا بها ترتطم برجل طويل القامة، قوي البنية، عاري الصدر. رفعت نظرها لتلتقي عيناها الخضراوان بعينين زرقاوين ثاقبتين. سألها ستيوارت يورك عابساً: «ما الذي تفعلينه هنا بحق السماء؟».

٣ ـ نقطة اللاعودة

لم تكن إيفي قد لمحت طيفه منذ أشهر فطرقهما لا تلتقي أبداً، وستيوارت يتفادى الحضور إلى المنزل أثناء وجودها. أثار ظهوره المفاجئ أمامها توترها فشعرت بضيق في التنفس وبألم في معدتها.

كان يتأملها بإمعان وقد ظهر في عينيه الزرقاوين وميض غريب وكأنها خيّبت آماله. نادراً ما كان ستيوارت يبتسم ولم تتوقع أن يفعل ذلك الآن، فشفتاه المثيرتان بدتا رقيقتين جداً من شدة الغضب. لم تستطع إيفي أن تحوّل نظرها عن صدره النابض بالرجولة. وعلى الرغم من أن شعره الأسود الكثيف بدا مشعثاً وعينيه حمراوان من قلة النوم، إلا أنها واثقة من أن نساء العالم كلهن يحلمن برجل مثله.

- كنت أبحث عن شيء ما.

سألها ساخراً: «هل كنت تبحثين عني أنا؟».

ومد يده نحوها مضيفاً: «أخبرتني راشيل الكثير عنك قبل رحيلها، لكنني لم أصدّقها في بادئ الأمر».

وتحوّلت عيناه إلى جسدها الرائع الذي أبرز ثوب النوم مفاتنه قبل أن يردف: «لكن يبدو أنها كانت محقة بشأنك».

ارتجفت ساقاها عند إحساسها بحرارة جسمه القوي على مسافة قريبة منها وزادت رائحة الصابون والعطر التي تفوح من جسمه وتلك النظرات المثيرة التي رمقها بها، حالتها سوءاً. منذ سنين طويلة وإيفي

www.rewity.com Breathless

تكافح لئلا تقع أسيرة سحر ستيوارت لكن وجوده على مسافة قريبة منها جعل نبضات قلبها تتسارع. وتفاعلت في داخلها أحاسيس أثارت ارتباكها. وجدت صعوبة فائقة في إبعاد نظرها عنه، مع أن صورته بدت ضبابية. ومن سوء حظها أنّ رأسها راح ينبض بطريقة جنونية حتى فقدت القدرة على التفكير، ما جعله يسيء فهم امتناعها عن الاعتراض.

ولم تكد تمضي لحظات حتى وجدت نفسها متكئة إلى الجدار البارد وجسد ستيوارت الصلب ملتصق بجسدها. كانت يداه على الجدار في محاولة منه لتثبيتها، فيما راحت عيناه تتأملان تفاصيل جسدها.

- احتاج إلى...

كانت نبرة صوتها ضعيفة جداً وهي تحاول أن تركّز لتتمكّن من أن تطلب منه حبة أسبرين أو أي دواء آخر يخفف من حدة صداعها.

سألها ساخراً: «إلي أنا؟».

جاء صوته عميقاً ناعماً أجش. ومال برأسه نحوها.

- اثبتي لي ذلك يا عزيزتي.

وبينما كانت تحاول أن تدرك مغزى هذا التعليق، عانقها فجأة فتصلّب جسدها من شدة الخوف. إنها المرة الأولى التي يعانقها فيها رجل بهذه الطريقة الحميمة.

أرادت أن تعترض على الطريقة التي ضمها فيها إليه، لاسيما وأنها كانت تشعر بكل شبر من عضلاته. كان مثيراً ومتسلطاً. وسرعان ما خفت حدة عناقه ليصبح أكثر رقة ونعومة.

أحست بقشعريرة تسري على طول عمودها الفقري وقد أخذ الشوق يتزايد في داخلها. وأحبت الحرارة والقوة المنبعثتين منه فراحت أصابعها تداعب عضلاته الصلبة. كان هذا أشبه بدعوة مفتوحة، دعوة لم يتمكّن من رفضها.

وسرعان ما تحوّلت بهجتها إلى خوف لا بل إلى رعب وراحت

تدفعه عنها محاولة قصارى جهدها كي تتحرر من قبضته المستبدة.

تردد ستيوارت في بادئ الأمر فجسده فضح توقه الشديد إليها، توق لم يجد سبيلاً لمقاومته. لكن وأمام مقاومتها الشديدة، لم يجد مفراً من الإذعان لرغبتها، فرفع رأسه لينظر في عينيها.

تفاجأ ستيوارت لدى رؤيته إمارات الخوف في عينيها، وساورته للمرة الأولى الشكوك بشأن كلام راشيل عن أختها الصغرى. فلا يُعقل أن يكون سلوك هذه الفتاة المرتعشة أمامه مشيناً إذ بدت مرعوبة.

- كلا.

وأضافت بصوت خافت: «أرجوك ألا تفعل».

أطبقت يداه على خصرها لبعض الوقت غير أن لهاثها وتصلب جسمها أخبراه الكثير عنها. أيعقل أن تكون امرأة فاسقة؟ فقوة تجاوبها معه جعلته يراهن بحياته على أنها بريئة.

ولما بدأت عاصفة الأفكار الهوجاء تهدأ في رأسه وخمدت نيران الغضب في صدره، أقر في داخله بأنه فقد السيطرة على نفسه وفضح نفسه أمامها. لم يكن بإمكانه أن يتظاهر بالبرودة وهو يعانقها فيما نيران توقه إليها تتأجج في أعماقه. ولبرهة من الزمن، شعرت بضعفه، ولهفته الشديدة ما جرّده من حصانته أمام هذه الفتاة البريئة التي لم يتجاوز سنها الثامنة عشرة.

غمرته موجة من الغضب وتأنيب الضمير في آن معاً فأبعدها عنه بخشونة وقد بدت عيناه متقدتين وهو يتأمل جسدها في ملابس النوم المثيرة. فعلى الرغم من كل شيء، شعر بلهفة لا تقاوم نحوها.

- ماذا توقّعت مني أن أفعل وأنت تخرجين في منتصف الليل مرتدية ملابس مماثلة؟

ضمت يديها إلى صدرها وهي ترتجف من شدة الانفعال. وترنحت قليلاً فرفعت إحدى يديها ووضعتها على عينيها. لبرهة خلت، نسيت

www.rewity.com Breathless

إيفي وجعها وهي بين يديه إلا أنّ الصداع عاد لينقضّ عليها من جديد وبشكل أكثر حدة. تراجعت قليلاً إلى الخلف لتتكئ على الحائط: كان وجعها يضاهي إحساسها بالخزي والغضب، وجع أشبه بغرز عصا شديدة السخونة في عينها.

كان وجهها الشاحب يتلوى من شدة الألم فلاحظ ستيوارت أنها ليست على ما يرام وسألها: «ما بك؟».

أجابت هامسة: «أعاني من داء الشقيقة. وكنت أبحث عن حبة أسبرين».

خرج من حنجرته صوت شديد الخشونة وقال لها ساخراً: «أسبرين للتخلص من الشقيقة؟».

وحملها بين ذراعيه وعاد بها إلى غرفة نومه. أسكره الإحساس بنعومتها بين يديه. ولعل أكثر ما أثار استغرابه هو أنها لم تعترض على ملامسته لها بل أسندت خدها إلى صدره ما جعله يلاحظ أن أنفاسها تقطّعت على الرغم من الألم الذي تشكو منه.

- سأعطيك دواءً أقوى من الأسبرين للتخلص من الألم. لكن دعيني أتصل بالطبيب أولاً. اجلسي.

ووضعها على السرير وتوجّه نحو المنضدة بحثاً عن هاتفه الخلوي.

- إنها الدكتورة لو كولتراين.

لم يكترث ستيوارت لكلامها فهو يعرف جيداً من هو طبيبها.

- لو؟ آسف لإزعاجك في هذه الساعة المتأخرة لكن إيفي كونلاي تمضي عطلة نهاية الأسبوع مع ميري وأصيبت بنوبة صداع. هل يمكنها أن تأخذ الدواء الذي وصفته لي؟

وخيّم السكون على الغرفة لبعض الوقت فاستغل ستيوارت الفرصة ليتفحص إيفي، محاولاً ألا ينظر إليها بالطريقة التي يرغب فيها. كانت تتمتع ببنية رائعة، لكن سنها جعله في حيرة من أمره. كانت صغيرة في

السن مقارنة بسنواته الثلاثين، ولم يعد يجرؤ على لمسها ثانية. عليه أن يجد سبيلاً للحفاظ على هذه المسافة بينهما حتى لو جرح مشاعرها. صحيح انه لا يرغب في ذلك، لكنها كانت تنظر إليه بطريقة مختلفة. فذاك العناق أشعل في داخلهما نيران اللهفة ذاتها، وما أن تأججت هذه النيران حتى دب الرعب في أعماقها.

- حسناً، سأرسلها في الغد إلى العيادة إذا لم تتحسن حالتها في الصباح. شكراً.

وأقفل الخط قائلاً لها بينما هو يُخرج علبة الدواء من الدرج العلوي: «قالت إنه بإمكانك أن تتناولي نصف الجرعة التي أتناولها».

صب الماء في كأس من الكريستال وناولها إياها، مضيفاً: «تناولي الدواء. وإذا لم تتحسن حالتك في الصباح، فعليك أن تذهبي إلى العيادة لتكشف عليك الطبيبة».

- هلا توقفت عن التحديق بي؟

- لست الوحيدة التي تعاني من الألم. خذي.

توهج خداها خجلاً لكنها أخذت حبة الدواء وابتلعتها مع جرعتين كبيرتين من الماء.

أخذ الكأس من يدها، وساعدها على النهوض من الفراش ورافقها عبر الحمام إلى غرفتها، ثم ساعدها على الاستلقاء في سريرها.

قالت له في محاولة منها للدفاع عن نفسها: «لم أكن أعلم أنك في المنزل. أقسمت ميري بأنك لن تعود اليوم. لم أتوقع أن أدخل إلى الحمام وأجدك أمامي».

- أنا أيضاً لم أكن أعلم أنك في المنزل. يبدو أن ذاكرة أختي بدأت تخونها.

بعبارة أخرى، نسيت ميري أن تعلمه بوجود إيفي في المنزل. وتساءلت إيفي في سرها عما إذا كانت صديقتها تعلم بموعد عودته.

www.rewity.com Breathless

لكن ميري لم تعد صغيرة لتمارس هذه الألاعيب ما جعلها تسلّم بأنها لم تكن على علم بالأمر.

قالت له بصوت مرتجف: «أشكرك على حبة الدواء».

أطلق تنهيدة عميقة تنم عن نفاد صبره وأجابها: «على الرحب. أخلدي إلى النوم».

أجفلت إيفي وهي تنسل تحت أغطية السرير فكل حركة تقوم بها تضاعف وجعها.

- ولا تطلقي العنان لمخيلتك بشأن ما حصل منذ قليل فمعظم الرجال يفقدون رباطة جأشهم في الليل لاسيما إذا ما دخلت من الباب فتاة مغرية في ملابس قليلة.

- لم أكن أعلم..

رفع يده مقاطعاً:

- لا بأس. أصدق كلامك.

ثم قطب جبينه وأضاف: «ملأت أختك رأسي بالأكاذيب عنك... لماذا؟».

- ولمَ كنت تكلّمها عني؟ لطالما سمعتك تردد أنك لا تتحملها، حتى عندما كنتما في الصف نفسه في المدرسة الثانوية.

- اتصلت بي عندما توفي والدك.

أغمضت إيفي عينيها وقالت: «لم تشأ المجازفة بأن تقف في صفي أثناء التثبت من صحة الوصية».

ثم أطلقت ضحكة باردة واردفت: «كان بإمكاني أن أقول لها إنّ هذا لن يحصل أبداً».

- ظنت أنك قد تلجئين إلى ميري لتساعدك.

فتحت إيفي عينيها وقد أحست بسكاكين الألم تُغرز في رأسها ثم قالت: «يمكنني أن أتدبر أموري وحدي».

أجابها وهو يتأمل وجهها الشاحب: «أجل. ويبدو أنك تبلين حسناً».

كانت هذه المرة الأولى التي تسمعه فيها يثني على أفعالها. نظرت إلى وجهه الخالي من أي تعبير وتساءلت في سرها عما كان يمكن أن يحصل لو لم تردعه فإذا بالحمرة تكتسح خديها.

- كفي عن هذا. أرفض أن أكون محور أحلام اليقظة التي تراود فتاة مراهقة مثلك.

لم تكن نبرته عدائية أو غاضبة بل عابثة فعبست إيفي قائلة في محاولة منها لرد الصاع صاعين: «هل أنت واثق؟ لأنني كنت أبحث عن الشخص المناسب. ماذا لو التقيت بشخص سيء وضللت الطريق الصحيح؟ سيكون الذنب ذنبك».

بدت في بادئ الأمر ساخرة لكن سرعان ما ظهر ذلك البريق في عينيها الخضراوين الجميلتين.

- ما زلت يافعة جداً لتجعلي من رجل ناضج مثلي محور هوسك... اختاري فتى في مثل سنك.

- هذه هي المشكلة، فالفتيان في مثل سني ليسوا سوى فتيان.

- لكن الرجال الناضجين كانوا فتياناً أيضاً.

فتمتمت ساخرة: «أظن ذلك. هل يمكنك أن تضرب رأسي بمطرقة؟ ربما يساعدني ذلك على نسيان وجعي».

- يبدو أن الدواء لم يعطِ مفعولاً بعد.

وجلس على غطاء السرير قربها وأضاف: «هل أحضر لك قطعة قماش مبللة بالماء البارد؟».

- لا أجرؤ على أن أطلب منك أن تحضر لي واحدة.

انفجر ضاحكاً، ونهض من مكانه وتوجّه نحو الحمام ثم خرج بعد قليل حاملاً منشفة مبللة بالماء. وضعها على عينيها وسألها: «هل

www.rewity.com Breathless

تساعد على التخفيف من الألم؟».

تنهدت وردّت: «أجل. شكراً لك».

- أفضّل أن تكون المنشفة مبللة بالماء الساخن. لا يمكنني أن أتحمل البرودة عندما أصاب بالصداع.

- أذكر ذلك.

وسألها بعد لحظات: «من أين أحضرت الشوكولا يا إيفي؟».

ضحكت إيفي ضحكة خافتة. كان يعرف الكثير عنها.

- تناولنا البسكويت بعد ظهر اليوم. لم ألاحظ أنه مغطى بالشوكولا إلا بعد أن تناولت كمية كبيرة منه. ميري نبّهتني إلى ذلك.

- يمكنني أن ألتهم عشرة ألواح من الشوكولا بكل سهولة.

- لأن الشوكولا ليس من العوامل المحفزة لديك. لكن ميري تقول إنك لا تأكل الجبن المخمّر.

ارتسمت ابتسامة على ثغره وهو يجيب: «هذا صحيح، لا أستطيع تناوله».

- نقطة ضعف! حسبت أنك لا تعرف معناها.

أجابها وهي يحمد الله لأنها لا تستطيع رؤية التعابير المرتسمة على وجهه: «قد تُفاجئين».

وفجأة، فُتح الباب وتسمّرت ميري عند المدخل.

- هل تقيمان حفلة بملابس النوم؟

- أجل لكنك لست مدعوة لأنها تقتصر على الأشخاص الذين يعانون من الصداع وأنت لست منهم.

دخلت الغرفة وأقفلت الباب وراءها ثم توجهت نحو السرير ووقفت بجانبه قائلة: «هذا ما كنت أخشاه يا إيفي. كان علي أن انتبه إلى وجود شوكولا في الطبق».

أجاب ستيوارت بخشونة: «كان يفترض بها أن تتدارك الأمر».

سألتها ميري بينما هي ترمق أخاها بنظرات غاضبة: «هل أحضر لك حبة أسبرين يا إيفي؟».

- أعطيتها دواءً مسكناً.

فثارت ميري في وجهه قائلة: «تعلّمنا ألا نعطي دواءً لأحد قبل استشارة طبيبه المعالج».

- يسرني أنك حفظت الدرس جيداً. اتصلت بلو قبل أن أعطيها الدواء.

ثم نظر بطرف عينه إلى الساعة الموضوعة على الطاولة قرب السرير وأردف:

- أتوقع أن يعطي نتيجة قريباً جداً.

كان ستيوارت محقاً إذ بدت إيفي عاجزة عن فتح عينيها وهي تتمتم قائلة: «أشعر بنعاس شديد».

أجابها ستيوارت: «جيد. ستجدين نفسك في كامل عافيتك عندما تستيقظين في الصباح».

- شكراً يا ستيوارت.

- على الرحب. أخشى أنني أصبحت أخصائياً في معالجة الصداع.

لم تستطع ميري منع نفسها من الرد: «كانت هي من نصحك باستشارة الطبيب ليصف لك الدواء الناجع».

لم يعلق ستيوارت على كلامها بل حوّل نظراته إلى وجه إيفي النائم ورفع المنشفة المبللة عن عينيها ثم وضعها جانباً. كانت عيناها مغمضتين وتنفسها منتظماً. غمره الارتياح عندما لاحظ أن الغطاء يصل إلى ذقنها لئلا يرى جسدها المثير مرة أخرى ويمضي الليل يحلم به.

نهض عن السرير على مهل لئلا يوقظها.

قالت له ميري فور مغادرتهما الغرفة: «الطف منك أن تعتني بها وتعطيها الدواء».

www.rewity.com Breathless

هز كتفيه بلامبالاة وأجاب: «أعرف جيداً ما يشعر به المرء في هذه الحالة».

- كيف جرت الأمور في أوكلاهوما؟

- اتخذنا كافة الخطوات اللازمة استعداداً للمزاد العلني. لا أصدق بعد أنهم خذلوني بهذه الطريقة في جاكوبزفيل.

- إنها المرة الأولى التي يحصل فيها مثل هذا الالتباس.

- لكن خطأ بهذا الحجم قد يكون باهظ الثمن.

وتابع ستيوارت قائلاً: «علينا أن نتوخى الحذر في ظل المناخ الاقتصادي المسيطر حالياً لأن خسارة الامتياز الياباني أثّرت فينا سلباً».

- لكن تأثيره كان أسوأ على آل هارتس ودونز لأنهم استثمروا أموالاً طائلة في لحوم البقر العضوية. علمت أنهم كانوا يعيشون في ترف عندما اتُخذ قرار الحظر.

- لكن سرعان ما استعادوا نشاطهم، مثلنا تماماً، من خلال فتح أسواق محلية للحوم البقر العضوية. من المتوقع أن تشهد نسبة الأرباح ارتفاعاً أكبر.

وإذ أراد أن يغير الموضوع سألها: «كيف حال الدراسة؟».

- أنا متفوقة في كافة المواد. وفي غضون سنتين فقط، سأستلم إدارة جناح.

أجابها مبتسماً: «يمكنك العودة إلى المنزل والاكتفاء بالعمل التطوعي».

هزّت رأسها رافضة وابتسمت له بدورها: «لكن الحياة السهلة لا تغويني، تماماً مثل أخي فنحن نتحدر من طينة تحب الأعمال الشاقة».

- أنت محقة.

ومال نحوها وطبع قبلة على خدها قائلاً: «عمت مساء».

- هل ستمضي عطلة نهاية الأسبوع في المنزل؟

علي أن أسافر في الغد إلى دنفر لإلقاء محاضرة عن الحبوب المعدّلة جينياً.

ضحكت إيفي وقالت له: «لا ترجع هذه المرة إلى المنزل وأنفك ملطخ بالدماء، اتفقنا؟».

هز ستيوارت كتفيه وأجابها: «لا يمكننا أن نسهّل الأمور على الأشخاص الذين يريدون أن يمزجوا الخلايا الحيوانية والخلايا النباتية ليسموا هذه العملية تطوراً».

وظهر بريق غريب في عينيه الشاحبتين وهو يضيف: «سندفع يوماً ما ثمن هذا التدخل».

مدت يديها وأحاطت وجهه قائلة: «حسناً، كن حازماً إن دعت الحاجة لذلك. أما أنا فسأهدي إيفي الفيلم الجديد عن المريخ، فهي تعشق المريخ».

- يسرّني أن أرسلها إلى هناك... يمكننا أن نثبتها بصاروخ..

- كفى.. إنها صديقتي المفضلة.

هز ستيوارت رأسه وقال: «أنت لا تقدّرين الأمور التي أفعلها من أجلك. حسناً، سأكتفي بإرسالها إلى القمر».

- لكنها فتاة مسكينة فقدت والدها ومنزلها وستفقد قريباً جداً إرثها أيضاً. ليتني أستطيع أن أخنق راشيل بيديّ هاتين.

كان ستيوارت على استعداد لخنق راشيل بنفسه بعد تلك الأكاذيب التي ملأت رأسه بها عن إيفي. ما الذي جعله يصدق كلامها؟ كان يعلم أنها خجولة بطبعها ولا تجيد التعامل مع الرجال، وما حصل بينهما منذ قليل أكد له ذلك. لكن ما غاية راشيل من الإساءة إلى سمعة أختها بهذه الطريقة؟ ربما كانت إيفي محقة في تحليلها للأمور؛ لم تشأ أختها أن يتدخل في مسألة وصية والدها. مسكينة إيفي! لن تتمكن من الحصول على فلس واحد إذا نجحت راشيل في تحقيق مرادها.

www.rewity.com Breathless

- ما هذه الكآبة البادية على وجهك؟

- ينبغي أن ترث إيفي منزل والدها على الأقل.

- ليس بمقدورها العيش فيه حتى وإن ورثته فهي لا تملك ما يكفي من المال لصيانته أو العناية به. وبالكاد تكفيها النقود المتوفرة لديها لتسدد أقساط المدرسة ولتدفع إيجار غرفتها.

ضاقت عيناه وهو يجيبها: «يمكننا أن نساعدها».

- حاولت ذلك. لكن إيفي فتاة أبية ولا تقبل أي إحسان.

- عليها إذن أن تعمل ليل نهار لتتمكّن من مضاعفة ذلك المبلغ الزهيد الذي تركته لها عمتها.

ثم دمدم بنبرة مثقلة بالغضب: «ربما كان أحد أرباب عملها متزوجاً ويحب العبث مع الفتيات الشابات».

- دعاها أحدهم للخروج برفقته، فأوقعت مطرقة على قدمه من دون قصد ما أرغمه على ملازمة السرير مدة أسبوع كامل. لكنه لم يحاول دعوتها للخروج معه مرة ثانية.

غمره إحساس بالإعجاب الشديد بتلك الفتاة التي تحل ضيفة عليهم. ليتها أكبر سناً لينظر إليها من منظار مختلف لكن سنها لا يناسبه مطلقاً.

- اتصلت راشيل بها اليوم وأنا واثقة من أن كلامها الجارح سبب لها الصداع، لاسيما وأنّ راشيل تثير قلقها إلى أقصى حد.

- عليها أن تتعلم أن تجابه أختها.

- إيفي ليست من هذا النوع فهي تحب أختها على الرغم من سوء معاملتها لها. ولا تنسى أنها فقدت أفراد عائلتها كلهم وباتت وحيدة.

- مع مرور الزمن، ستجد نفسها مرغمة على أن تصبح قاسية القلب.

وتثاءب ستيوارت وتمطى ثم أضاف: «سأخلد إلى النوم. لا أظن

أنه سيتسنى لي أن أراك قبل رحيلي. يمكنك الاتصال بي على هاتفي الخلوي في حال حدوث أي طارئ».

أجابته مبتسمة: «أثبت شايس قدرته على إدارة المزرعة وأظننا سنتمكن من التفاهم. رحلة موفقة».

وعاد إلى غرفته وأقفل الباب وراءه. كان عليه أن يطرد صورة إيفي من رأسه وألا يسمح للتاريخ بأن يعيد نفسه.

عاد بالذاكرة إلى الملف الذي أعده له التحري الخاص عن والد إيفي. كان الرجل مدمناً ويسيء معاملة زوجته وابنته إيفي، لكنه لم يلمس راشيل يوماً. لم يكن ينوي أن يطلعها على المعلومات التي جمعها لكنه حرص على ألا يرفع صوته أثناء وجودها. وعلى الرغم من ذلك، عليه أن يمنعها من التفكير فيه على أنه فارس أحلامها فمصلحتها الشخصية تقضي بأن يقمع هذا الانجذاب لاسيما وأنها صغيرة جداً في السن بالنسبة إليه.

لم تشهد عطلة نهاية الأسبوع أي أحداث مهمة أخرى. فتعاونت الفتاتان على التحضير لامتحان ميري وشاهدتا الأفلام وتشاطرتا أحلامهما المستقبلية. ومع حلول نهار الاثنين، أوصلت ميري صديقتها إلى المعهد المحلي وهي في طريقها إلى سان أنطونيو.

وقبل أن تتابع طريقها، وعدت ميري صديقتها: «سأتصل بك حين لا أكون مشغولة في عطلة نهاية الأسبوع. لا تدعي راشيل تثير عصبيتك اتفقنا؟».

- سأبذل جهدي. كانت عطلة جميلة. شكراً لك.

- استمتعت بوقتي كثيراً. علينا أن نعاود الكرة مرة أخرى. إلى اللقاء.

أمضت إيفي الأسبوع كله وهي تفكر في ما حصل في غرفة الضيوف في منزل ميري. وكلما استرجعت في ذهنها تلك اللحظات التي جمعتها

www.rewity.com breathless

بستيوارت، أدركت مدى أهميته في حياتها. فعلى مر السنين، توطدت علاقة الصداقة بينها وبين ميري، وحرص ستيوارت على البقاء بقربهما لكن من دون أن يظهر في الصورة.

لكن ذلك العناق المفعم بالشغف غيّر أموراً كثيرة بينهما إذ راحت تراود إيفي أحلام محمومة عن مستقبل يأبى أن يغيب عن ذهنها. كانت واثقة من أنه يكنّ لها شعوراً ما، شعوراً قد لا يتخطى حدود الرغبة. فتوقه الشديد إليها بدا واضحاً بقدر توقها إليه ما جعل تلك اللحظات المحمومة أشبه بعلامة فارقة في مرحلة شبابها.

لكن ومع اقتراب عطلة نهاية الأسبوع، وبينما هي تنتظر في متجر البقالة لتدفع ثمن مشترياتها، وقع نظرها على إحدى الصحف، وإذا بها تُفاجأ برؤية ستيوارت وإلى جانبه فتاة شقراء رائعة الجمال، ترمقه بنظرات تنم عن عشقها له. ولفت انتباهها العنوان العريض «راعي بقر مليونير من تكساس يهب أرضاً لجمعية الحفاظ على الإرث التاريخي..».

وتبيّن لها أن الشقراء الفاتنة خريجة إحدى الجامعات الراقية، وهي ابنة رجل أعمال بارز يترأس الجمعية المذكورة. وتطرّق المقال أيضاً إلى الشائعات عن إمكانية حصول عملية دمج بين مصالح المليونير ورجل الأعمال البارز، لكن هذين الأخيرين أكدا أن الشائعات سابقة لأوانها.

أحست إيفي بقلبها ينفطر بين ضلوعها إذ بدا واضحاً أنّ انجذاب ستيوارت إليها مجرد وهم من صنع خيالها. ولعل أكثر ما آلمها هو أنه لم يتوانَ عن الكشف عن ذلك علناً. لم يكن المقال وليد الصدفة فهو لا يسمح عادة للصحافة بالاقتراب منه، إلا أنه اختار طريقة علنية ومهينة ليوصل إليها رسالة.

اتصلت بها ميري لتسألها عما إذا قرأت المقال، فأجابتها إيفي

بصوت خافت: «أجل».

- لا أفهم لما سمح لهم باستغلال اسمه بهذه الطريقة.

بدا واضحاً أنها لا تملك أدنى فكرة عما جرى بين شقيقها وصديقتها المفضلة.

- لعل المصور فاجأه على غفلة.

أجابتها ميري ببراءة: «لعله أريد أن يثبت لامرأة ما تطارده أنها لا تعني له شيئاً فهذه من شيمه. مع أنني لا أذكر أنه ارتبط بأي علاقة جدية في الأشهر القليلة الماضية. أنا واثقة من أنه خرج مع كثيرات من دون أن يتورط بصورة جدية مع أي منهنّ».

أرادت إيفي أن تغيّر الموضوع فبادرت إلى سؤالها: «كيف كان الامتحان؟».

- نجحت بتفوق والفضل يعود لك.

- لا داعي لشكري. يمكنك أن تعامليني بالمثل عندما يحين موعد امتحانات نهاية السنة.

- ما زال أمامنا متسع من الوقت. هل تأتين لزيارتي في عطلة نهاية الأسبوع المقبل؟

أجابت: «آسفة يا ميري لكنني وعدت زميلتي أن أرافقها إلى دالاس لزيارة والدتها فهي لا تحب أن تقطع هذه المسافة كلها وحدها».

لم تكن تقول الحقيقة كاملة. صحيح أن ليتا طلبت منها أن ترافقها لكنها وعدتها بأن تفكر في الأمر.

ساد الصمت للحظة ثم قالت ميري: «لن أتمكن من الحضور إلى المنزل باستمرار بعد أن أستلم الوظيفة في المستشفى. علي أن أعمل اثنتي عشرة ساعة في اليوم، أربعة أيام في الأسبوع لاسيما خلال عطلات نهاية الأسبوع».

شكرت إيفي الله لأنها لن تضطر إلى البحث عن الأعذارلتتجنّب

www.rewity.com Breathless

رؤية ستيوارت ثانية.

- بعد تخرجي، سأضطر للعمل في عطلات نهاية الأسبوع أيضاً. لكن عندما تسنح لي الفرصة، سأذهب لرؤيتك ويمكننا الخروج معاً.

- بالتأكيد..

وخيم الصمت مجدداً، فسألتها ميري: «هل من خطب يا إيفي؟».

- كلا. أنهى المحامي كافة المعاملات وسيسلم الأملاك لراشيل قريباً جداً. يبدو أنني سأحصل على مبلغ صغير من المال. أرجو أن تتركني راشيل الآن بسلام.

- أرجو ذلك. اتصلي بي دوماً.

- سأفعل.

كانت الظروف تفرض على ايفي أن تجد سبيلاً لتفادي ستيوارت من الآن فصاعداً إذ لا يمكنها أن تطلق العنان لمشاعرها مرة أخرى، لاسيما بعد أن كشف لها عن حقيقة مشاعره بتلك الطريقة القاسية. كانت واثقة من أنها ستشتاق إلى ميري، لكن الخطر المحدق بها عظيم.

٤ - سيدة الأعمال الجديدة

بعد مرور سنتين...

وقفت عميلتها الأخيرة عند عتبة باب مكتبها، وراحت تتأملها وهي غارقة في تدوين الشيكات والتحقق من بيانات الحسابات المصرفية، ثم سألتها: «هل ترغبين في احتساء فنجان من القهوة وأنت تعملين؟».

رفعت نظرها نحوها وقد ارتسمت على ثغرها المثير ابتسامة، وأجابتها وفي عينيها الخضراوين وميض ساحر: «لا أريد إزعاجك».

- حضرت إبريقاً من القهوة. سأحضر لك فنجاناً. كما أنك لا تزعجينني على الإطلاق. لقد أنقذتني من الإفلاس.

- هذا غير صحيح. جلّ ما فعلته هو أنني اكتشفت أنك تملكين مبلغاً من المال لم يكن في الحسبان.

أطلقت المرأة الطاعنة في السن ضحكة خافتة وقالت لها: «يمكنك أن تنظري إلى الأمور من منظارك الخاص. لكن دعيني أنظر إليها من منظاري الخاص أيضاً.. سأحضر القهوة».

تفحّصت إيفي المكتب الفخم الذي تستخدمه وهي تفكر في التقدم اللافت الذي حققته خلال السنتين الماضيتين، منذ تلك الحادثة المؤسفة التي وقعت في منزل ميري. فبعد أن عرضت عليها دوري هارت أن تمسك حسابات زبائنها كلهم، استقالت من عملها في المرآب من دون تردد. كانت دوري تحب عملها كثيراً، واستمرت في مسك دفاتر زبائنها حتى بعد زواجها من كوريغان هارت. لكن ومع مرور

www.rewity.com Breathless

الأيام، بدأت عائلتها تكبر ومسؤولياتها تتضاعف ما جعلها عاجزة عن مواصلة عملها. قالت لها دوري مرة إنها نعمة من السماء إذ بات بإمكانها الآن أن تتقاعد وتترك زبائنها بين أيدي أمينة.

تمكنت دوري، خلال سنوات عملها، من جمع عدد كبير من الزبائن، كما تمكّنت إيفي من التعرف إلى رجال أعمال خلال الفصل الدراسي الأخير، عندما عرضت دوري عليها العمل معها. كانت ليتا، زميلة إيفي في السكن، من الأصدقاء المقربين من دوري. ولما أخبرتها عن طموحات إيفي، قصدت دوري المنزل للقائها. ووجدت إيفي في العرض الذي قدمته لها فرصة لا تعوض؛ فبعد أن رضيت بالعمل كمحاسبة في إحدى الشركات، تمكّنت اليوم من اكتساب لقب سيدة أعمال وعن جدارة.

ولم تكتفِ إيفي بالنعم التي انهالت عليها من كل حدب وصوب، فتطوّعت أيضاً لكتابة المقالات الدورية الخاصة باتحاد مربي الماشية في المقاطعة. كانت ترغب في أن تسدي خدمة لآل هارت، لاسيما وأن كوريغان يترأس الاتحاد هذه السنة، لكنهم أبوا إلا أن يدفعوا لها.

من جهتها، راحت ميري تمارس مهنة التمريض في مستشفى مهم في سان أنطونيو. وحرصت إيفي على الاتصال بها مرتين في الشهر عل الأقل، لكن انشغالهما بالأعمال منعهما من الالتقاء. لم تخبر إيفي صديقتها بحقيقة ما حصل في تلك الليلة التي أمضتها تحت سقف منزل ستيوارت، ولم تحاول أبداً أن تسألها عنه. ويبدو أن ميري كانت تشك في الأمر لكنها لم تشأ أن تتطفل، وتجنّبت بدورها الحديث عن شقيقها.

حلّ فصل الخريف فاتشحت أوراق الحور بظلال قرمزية وذهبية أخاذة.. شعرت إيفي بالتململ وكأن شيئاً ما على وشك أن يتغير في حياتها. أنجزت عملها وبذلت الكثير من الجهد لتبعد ستيوارت يورك

عن ذهنها، لكن الخوف من شيء غير منظور هيمن على اللاوعي لديها.

تلقّت دعوة للمشاركة في الحفلة التي ينظمها شيلبي جاكوبز من أجل الملجأ المحلي للحيوانات. صحيح أنها لم تكن ترغب في الحضور، لكن الشريف هايس كارسون، وهو عضو في اللجنة المنظمة للحفل، أظهر في الآونة الأخيرة اهتماماً متزايداً بها.

لم تكن إيفي واثقة من مشاعرها، فعلى الرغم من أنها تحبه بصدق، إلا أنّ نبضات قلبها لا تتسارع عندما تراه؛ ولعل هذا أفضل لها.

عندما جاء لزيارتها في وقت متأخر من نهار الجمعة، دعته للجلوس على الأرجوحة على الشرفة فجلس بقربها عن طيب خاطر.

- سنقيم حفلاً خيرياً مساء الجمعة المقبل. أريدك أن ترافقيني.

ضحكت إيفي قائلة: «لم أرقص منذ سنوات طويلة يا هايس... لست واثقة ما إذا كنت لا أزال أتذكر».

ومضت عيناه الداكنتان وأجابها:

- يمكنني أن أعلّمك.

أخذت تتأمله وشفتاها مزمومتان. كان هايس شاباً وسيماً جداً بشعره الأشقر الذي صبغته الشمس، ووجهه الجدي النحيل، وعينيه الداكنتين وحاجبيه الكثيفين. كانت بذلته الرسمية تبرز جسده النابض بالرجولة وهو يتميز بطوله الفارع، وكتفيه العريضتين.

حاولت العديد من النساء في جاكوبزفيل إيقاعه في حبائلهنّ لكن من دون جدوى؛ كان عازباً بامتياز وكأنه يملك مناعة ضد النساء. كان لا يبتسم إلا لماماً لكنه في الواقع لا يظهر سحره إلا عندما يحلو له، علماً أنّ السحر كان يفيض منه في الآونة الأخيرة.

بدت إيفي أشبه بغلام في سروالها الجينز الضيق، فقطب هايس وهو يعلن لها عن رغبته في أن ترافقه إلى الحفل الراقص قائلاً: «أرجوك... تمضين وقتك كله في العمل ولا تخرجين أبداً. هذا لا يجوز أبداً،

www.rewity.com Breathless

وأخشى أن تصابي بالجنون».

- انظروا من يتكلم.. أليس صحيحاً أنك لم تأخذ إجازة منذ أربع سنوات؟

أطلق هايس ضحكة رنانة وأجابها: «أظن ذلك. فأنا أعشق عملي».

- لاحظنا جميعاً ذلك. فمنذ تقاعد كاش غراير واستلامك زمام الأمور، اختفى تجار المخدرات من المنطقة.

- أظن أننا نتمتع بقدرة عالية على الإقناع... ما الذي يمنعك؟ أتراك مغرمة سراً؟

ضحكت إيفي في سرها. كان كلامه صحيحاً نوعاً ما لكنها لن تعترف بذلك أبداً.

- ليس فعلاً لكنني لست معتادة على الحياة الاجتماعية الصاخبة. لم أكن من النوع الذي يميل إلى الاختلاط بالآخرين منذ أيام الدراسة.

عقد هايس حاجبيه الكثيفين وقال لها فجأة: «أعرف سبب امتناعك عن مواعدة الرجال يا إيفي. لا يمكنك أن تبقي أسيرة الماضي، ولا تعتقدي أن الرجال كلهم مثل والدك».

تصلبت ملامح وجهها وشبكت يديها في حضنها، وراحت تحدق في الأفق آبية أن تسمح للذكريات بأن تتغلب على إدراكها.

- لطالما رددت والدتي أنه خدعها قبل الزواج وأوهمها بأنه رجل نبيل. استمرت علاقتهما سنة قبل الزواج. اكتشفت بعد الزواج أنه رجل عنيف لكنها كانت حاملاً وليس لديها من تلجأ إليه.

أمسك بيدها وذكّرها: «لم يكن والدك من سكان المنطقة الأصليين، ولم يكن أحد يعلم عنه شيئاً. لكنك تعرفين سكان جاكوبزفيل تمام المعرفة وأراهن على انك تعرفين كل شيء عني».

فاجأتها نبرة صوته السخيفة فانفجرت ضاحكة.

- هذا صحيح، شأني شأن جميع أبناء البلدة. العيب الوحيد فيك

هو طبعك الحاد، لكنك لا تضرب أحداً إلا إذا اعتدى عليك بالضرب أولاً.

- معك حق، ما يعني أنك ستكونين في أمان برفقتي لليلة واحدة.

أطلقت إيفي تنهيدة عميقة وأجابته: «من الصعب أن أرفض طلبك».

- ستستمتعين بوقتك... لا تقلقي..

- سيكون الأمر مسلياً لاسيما وأنك لا تواعد أحداً هنا. سيتهامس الناس بشأننا لأسابيع طويلة.

- لا يهمني. فأنا أملك مناعة ضد القيل والقال.

أرادت أن تعترض لكنه أضاف: «أظنك مثلي تماماً».

- هذا صحيح. حسناً، أوافق على مرافقتك. هل أرتدي الجينز وانتعل حذاءً عالي الكعبين؟

- كلا، عليك أن ترتدي فستاناً وحذاءً عالي الكعبين.

- أكره الملابس الرسمية.

- وأنا أيضاً لكن يمكنني أن أتحملها من أجلك. ولا تنسي أننا سنساهم في قضية إنسانية.

- نعم، أنت محق.

- حسناً، سآمر لاصطحابك عند الساعة السادسة.

ابتسمت له قائلة:

- سأشتري فستاناً للمناسبة.

- رائع!

شاع في البلدة خبر موافقتها على مرافقة هايس إلى الحفل الراقص. لم يكن أحد يعلم بالضبط كيف تنتقل الشائعات بهذه السرعة. وكم كانت دهشة إيفي عظيمة عندما أدركت أن الخبر بلغ مسامع ميري أيضاً، فاتصلت بها صديقتها المفضلة قبل يومين من الحفل الراقص.

- هل دعاك هايس للخروج برفقته؟ لكنه لا يواعد أحداً أو لنقل إنه

www.rewity.com BreatHless

لم يواعد أحداً منذ أن تخلت عنه ابنة جونز من أجل المليونير الأوسترالي.

وافقتها إيفي الرأي قائلة: «حصل هذا منذ سنتين، ولا أظن أنه شفي تماماً. دعاني لمرافقته إلى الحفل الراقص يا ميري ولم يطلب يدي للزواج».

- لا أحد يعلم... لعله يشعر بالوحدة. ولا تنسي أنه يعشق الأولاد.

- مهلاً يا صديقتي. لست مستعدة للزواج بعد، ولا أظن أن هايس مستعد أيضاً.

- لمَ لا؟

- أحب العيش وحدي.

ثم أضافت محاولة المراوغة: «على أيّ حال، لا أظن أن هايس يعرف الكثير من الشابات العازبات».

- ثمة العديد من النساء المطلقات في الجوار.

فاجأتها ميري بجوابها الغريب.

- يعود ريع الحفل الراقص لبناء مأوى للكلاب الشريدة فعددها يزداد يوماً بعد يوم وهذا مؤسف حقاً.

- أحب الحيوانات كثيراً لكنني أؤكد لك أن هايس لم يدعك إلى الحفل الراقص من أجل الكلاب الشريدة. لعله يريد أن يتباهى بك ليتخلّص من امرأة تلاحقه. إنها إحدى عادات أخي الشهيرة.

- أظن أن أخاك يفوق هايس براعة في هذه الأمور.

بذلت إيفي ما بوسعها لتطرد صورة ستيوارت من ذهنها فقد مضى وقت طويل على لقائهما الأخير.

- هذا صحيح، لأنه يملك خبرة واسعة في هذا الحقل.

وأطلقت تنهيدة عميقة ثم أضافت: «لكنني علمت أنه لم يكن يواعد

أحداً في الآونة الأخيرة. وعندما سألته عن السبب، أجابني بأنه لم يعد يجد أي متعة في ذلك. ولو لم أكن أعرفه تمام المعرفة، لقلت إنه عثر على فتاة أحلامه ويريد الزواج بها».

- إنها فرضية بعيدة الاحتمال.

وتساءلت إيفي في سرها عما إذا كانت ميري على حق وأحست بنفسها تغرق في بحر من الحزن العميق.

- صحيح أنها بعيدة الاحتمال لكنها ليست مستحيلة.

وتوقّفت قليلاً عن الكلام قبل أن تعلن فجأة: «أظن أنني سأشارك في الحفل الراقص أيضاً. لن أجد صعوبة في العثور على ممرضة تحل محلي فالجميع يدين لي بالخدمات».

- من ستحضرين معك؟

- سأحضر بمفردي. لست بحاجة إلى رفيق، لكن قولي لـ«هايس» إنني أرغب في الرقص معه.

ضحكت إيفي وقالت لها: «يمكنه أن يرقص معنا نحن الاثنتين ليثير حفيظة أبناء البلدة. وقد يتصور البعض أنه يواعد الاثنتين معاً».

- كنت مغرمة بهايس في المدرسة الثانوية لكنه لم يعرني اهتماماً. كان يومها متيماً بتلك الفتاة المثيرة التي هجرته من أجل الأوسترالي. حينذاك، لم أشعر بالأسف عليه لأن الجميع كان يدرك أنها تسعى وراء المال.

- لكن هايس يملك مزرعة كبيرة.

وافقتها ميري الرأي وقالت: «وورث أيضاً شركة عن جده لكن هايس لا يرضى بالعيش من دخل لم يكسبه بعرق جبينه. إنه يشبه ستيوارت إلى حد بعيد، فكلاهما يحب الاستقلالية».

- وأنت أيضاً.

- أظن ذلك.

www.rewity.com Breathless

- كيف تجدين عملك كممرضة؟

أجابتها ميري بصدق: «أعشق عملي؛ لم أشعر يوماً بهذا القدر من الاكتفاء الذاتي، والإحساس الذي يخالجني عندما أدرك أنني ساهمت في إنقاذ حياة إنسان لا يوصف. إنها أفضل مهنة في العالم».

انفجرت إيفي ضاحكة وقالت لها: «حسناً، يبدو أنك في المكان المناسب، وأنا مسرورة جداً لأنك تحبين عملك. قد لا تصدقين ذلك، لكنني أعشق عملي أيضاً لأنني أتعامل مع أشخاص مثيرين للاهتمام».

- هذا ما سمعته... ويسرني أن أراك سعيدة في حياتك.. لكن بمناسبة الحديث عن الأمور السارة، هل من أخبار جديدة عن راشيل؟

تلاشت أسارير الفرح عن وجه إيفي، وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تجيب: «لم يصلني أي خبر عنها منذ أكثر من شهرين. ما أعرفه هو أنها كانت تسعى إلى قطع علاقتها بتاجر المخدرات جيري لتتمكن من الارتباط برجل ثري. رفضت أن تطلعني على اسمه، لكنها ذكرت أنه متزوج».

- متزوج. لمَ لم يفاجئني الأمر؟

- لم يكن حديثها منطقياً أبداً. لكنني لا أتصور أن رجلاً على هذا القدر من الثراء قد يقع في حب امرأة مدمنة. ولعل أكثر ما يثير حيرتي هو أنها تمارس مهنة التمثيل وهي في هذه الحالة.

- المهم هو أن تدعك بسلام، ولا تزعجك بمشاكلها.

- معك حق. لكنني قلقة عليها. خسرت أفراد عائلتي كلهم ولم يتبقَ لدي سواها.

ثم أضافت قائلة: «أرجو أن يتمكّن هذا الرجل الثري من إقناعها بالإقلاع عن تعاطي المخدرات والابتعاد عن جيري بصورة نهائية. إلا إذا بلغ الخبر زوجته».

وهمهمت ساخرة: «أخشى أن يؤدي ذلك إلى زيادة الطين بلة. أنا

واثقة من أنها أقنعت نفسها بأنه سيطلق زوجته من أجل عينيها لكنني لا أتصور أنه قد يفعل هذا».

- معظمهم لا يفعلون.. هل تشاجرت مع تاجر المخدرات؟

- لا أملك أي فكرة. لكنني لاحظت من كلامها أنها فخورة بنفسها لأنها وقعت على صيد ثمين فالرجل الثري يقدم لها هدايا من الماس.

- - لن أسأل عما يطلبه منها في المقابل.

- وأنا أيضاً.

- حسناً، أراك في الحفل الراقص. أين يقام وفي أي ساعة؟

زوّدتها إيفي بكافة التفاصيل، لكنها بدت متجهمة عندما أقفلت الخط. ماذا لو كانت راشيل متورطة مع شخص مرموق وفضحت الزوجة أمرهما وسربت الخبر إلى الصحافة؟ كانت راشيل فتاة وقحة، متطلبة، لا تعرف معنى الشفقة، إلا أنها في أعماقها ضعيفة وعاجزة عن تحمل عواقب فضيحة من هذا النوع.

خلال مكالمتهما الهاتفية الأخيرة، حصل أمر غريب أيضاً إذ طلبت منها راشيل أن تبلغ صاحب متجر الحلوى الوحيد في البلدة رسالة هامة. لم تتمكن إيفي من فهم مغزى هذه الرسالة التي تحدّثت عن شحنة من الدقيق لم تصل في موعدها وأرادت أن تعرف سبب اهتمام راشيل المفاجئ بمتجر الحلوى، فأذعت هذه الأخيرة أن أحد أصدقائها طلب منها إبلاغه هذه الرسالة.

كان حديثهما شديد التقلب. ولم تتوانَ راشيل عن ذكر الإنذار الذي وجهته إلى عشيقها الثري حيث طلبت منه أن يطلق زوجته وإلا ستكشف حقيقة علاقتهما أمام الجميع. توسلت إيفي إليها ألا تقدم على خطوة مماثلة فالرجل ثري جداً وقد تستخدم زوجته أحداً ليؤذيها. عندئذ، انفجرت راشيل بالضحك قائلة إن الزوجة امرأة مخبولة، باردة المشاعر، ولا تشكل أي خطر على الإطلاق. لكن إذا فشلت خطتها

www.rewity.com Breathless

هذه، فستحاول البحث عن طريقة أخرى لتكسب المال. وحرصت في الختام على أن تتباهى أمام إيفي بهذا الكنز الثمين الذي وقعت عليه، ساخرة من عجزها عن إيجاد رجل مناسب. لكن إيفي لم تأبه لكلامها فقد سئمت من تهكم أختها.

وأقفلتا الخط وهما على خلاف. اتهمتها راشيل بالغيرة لأنها لم تحظى بالاهتمام الذي حظيت به راشيل حتى من والدهما. وأضافت أن إيفي فاشلة وستمضي حياتها كلها في العمل ككاتبة في متجر. لم تنكر إيفي حقيقة أنّ راشيل حظيت بالاهتمام كله من خلال الكذب على والدهما وجعلها تتحمل العقاب الذي اعتبره والدهما ملائماً للتكفير عن خطاياها المزعومة.

بدت راشيل مصعوقة عند سماعها وصف إيفي للعقاب، واتهمت إيفي بالكذب فالعجوزلا يعرف معنى العنف، وكان يكنّ لراشيل الكثير من الحب.

أحست إيفي بالمرارة وقد تذكرت في تلك اللحظة أنها كانت مجرد خادمة في المنازل، خادمة يصب عليها صاحب البيت جام غضبه كلما وشت راشيل بها.

وبدت راشيل نادمة على ما فعلته لبعض ثوانٍ فقط لكن سرعان ما تلاشت تلك النوبة العابرة من التعاطف، وأقفلت الخط بفظاظة مدعية أن حبيبها وصل.

أدركت إيفي أنها كانت ترتجف وهي تقفل السماعة، إذ أخذت صور الأيام الأخيرة التي أمضتها راشيل في المنزل تتدافع في ذهنها، فذكريات الماضي كلها ممزوجة بالألم والعذاب.

نزلت إيفي إلى السوق لتشتري فستاناً، لكن صاحبة المتجر الذي كانت تمسك حساباته، أصرت على أن تعيرها أحد تصاميمها الخاصة قائلة: «أنظري، إنه أحد التصاميم التي أجهّزها للعرض وأظن أن مقاسه

يلائم قوامك كما أن لونه الأخضر يحاكي لون عينيك. سأكون في انتظارك نهار الجمعة عند الساعة الخامسة لأساعدك على ارتدائه وأصفف شعرك وأهتم بتبرجك. لا داعي للجدال. أريد أن أجعل منك أميرة من أميرات القصص الخيالية نهار الجمعة».

- حسناً، سأحضر نهار الجمعة عند الساعة الخامسة. أشكرك من كل قلبي يا مارسيلا.

عبست المرأة وأجابتها: «إحرصي على إخبار الجميع عن الفنانة البارعة التي صممت لك هذا الفستان، لنكون متعادلتين».

- يمكنك الاعتماد على ذلك.

لم يكن هايس يرتدي بذلته الرسمية، لكنه اختار لتلك المناسبة بذلة داكنة اللون، مع قميص قطنية بيضاء اللون وربطة عنق مناسبة. وعكس حذاؤه اللامع الأضواء المتلألئة في شرفة منزل السيدة براون.

وكانت إيفي قد عادت للتو في سيارتها التي اشترتها منذ سنتين، من متجر مارسيلا، حيث ارتدت فستانها وساعدتها صاحبة المتجر على تصفيف شعرها الأشقر الطويل ليبدو مجعداً، ووضعت لها لمسة بسيطة من الماكياج لتضفي على مظهرها لمسة مثيرة. وكم كانت دهشتها عظيمة عندما رأت صورتها المنعكسة في المرآة.

رمقها هايس بنظرة طويلة مليئة بالإعجاب، ثم قال: «تبدين فاتنة».

وأخرج علبة من البلاستيك فيها زهرة وقدّمها لها قائلاً وهو يهز كتفيه بلامبالاة: «قيل لي إن النسوة يضعنّها في معصمهنّ هذه الأيام».

- هذا صحيح. لكنه لم يكن ضرورياً يا هايس.

وأخرجت الزهرة من العلبة وأضافت: «إنها جميلة جداً، شكراً لك».

- خطر لي أنها قد تعجبك. هل أنت جاهزة؟؟

هزت إيفي رأسها وأقفلت الباب وراءها. كانت تحمل حقيبة صغيرة

www.rewity.com Breathless

أعارتها إياها مارسيلا مع الثوب ما جعلها تشعر وكأنها سندريلا.

كان المركز الاجتماعي يعج بالسكان المحليين. وكان من بين الحضور الطبيبان البيطريان اللذان تطوعا للعمل في عيادة الحيوانات مع زوجتيهما، فضلاً عن الشخصيات البارزة في جاكوبزفيل.

أمسك هايس بيد إيفي وقادها عبر السلم الطويل قائلاً: «أليس مذهلاً أن تتسع القاعة لهذا العدد الهائل من الأشخاص؟».

- معك حق. أراهن على أننا سنتمكن من بناء وجار جديد بالنقود التي سنجمعها هذا المساء.

رماها بابتسامة ساحرة وأجاب: «لا شك عندي في ذلك».

والتقيا بزوجين آخرين، كان أحدهما ويلي كار صاحب متجر الحلوى فتذكرت إيفي الرسالة الغريبة التي كان يفترض بها أن تبلغها له.

- اسمع يا ويلي، طلبت مني راشيل أن أبلغك شيئاً.

وقطبت جبينها وهي تحاول أن تتذكر ما قالته أختها بالضبط فيما علت إمارات الانزعاج ملامح وجه ويلي الذي عاد وضحك قائلاً: «ما الذي قد يجعل راشيل توجه إلي رسالة؟».

ورمق زوجته بنظرة قلقة ثم أردف: «أنا لا أخونك يا عزيزتي. أقسم لك بذلك».

أجابت إيفي على الفور: «لا أقصد هذا النوع من الرسائل. لكنها ذكرت شيئاً عن شحنة من الدقيق لم تصل في موعدها».

- لا أملك أدنى فكرة عن أي شحنة تتكلمين يا إيفي. لا بد أن راشيل قصدت شخصاً آخر.

- نعم، أظن ذلك. إنني في غاية الأسف.

وارتسمت على ثغرها ابتسامة مرتبكة وأضافت: «أخشى أنها كانت مشوشة الذهن في الآونة الأخيرة».

وافقها ويلي الرأي قائلاً: «لا شك عندي في ذلك، وإلا لما بعثت

إلي برسالة تتعلق بالدقيق».

ثم انحنى أمام إيفي وهايس وقاد زوجته إلى حلبة الرقص.

أمسك هايس بيدها وأخذها جانباً ثم سألها بنبرة جدية: «عن أي شحنة دقيق كانت راشيل تتكلم؟».

- لا أعرف. طلبت مني أن أخبر ويلي بأن الشحنة مفقودة مع أن راشيل لا تحب الحلوى أبداً...

- متى طلبت منك أن تبلغي ويلي هذه الرسالة؟

- منذ يومين.

ثم قطبت جبينها وسألته: «ولكن لماذا؟».

أمسك هايس بيدها وقادها إلى حلبة الرقص حيث كان كاش غراير يقف قرب الطاولة برفقة زوجته الجميلة ذات الشعر الأحمر.

اقترب هايس منه قائلاً: «أرسلت راشيل لويلي رسالة..».

بدا الاهتمام على وجه كاش الذي سارع إلى سؤاله: «ماذا تقول الرسالة؟».

وطلب هايس من إيفي أن ترددها على مسمعه، فسأله كاش: «أتظن أنها شيفرة؟».

أومأ الرجل الآخر برأسه.

- أبلغت راشيل أختها الرسالة منذ يومين.

ظهر بريق غريب في عيني كاش الداكنتين.

- يا لها من صدفة!

- نعم.

- ما يثبت صلة الوصل التي كنا نتحدث عنها في وقت سابق.

والتفت إلى إيفي قائلاً: «إذا أرسلت أختك المزيد من الرسائل لويلي أو لأي شخص آخر فأبلغي هايس على الفور».

لم تقوَ إيفي على كبح اضطرابها وسألت: «يبدو أن راشيل متورطة

www.rewity.com Breathless

في شيء ما، أليس كذلك؟».

أجابها هايس على الفور: «ليس بالضرورة. لكنها على علاقة بالشخص المتورط في القضية، ولا داعي لنشر هذا الخبر».

هزت إيفي رأسها وقالت: «لست من النوع الذي يحب القيل والقال. لكن أختي على علاقة برجل ثري وتحاول ما في وسعها للتخلص من صديقها السابق، تاجر المخدرات. غير أن الرجل الثري متزوج وأخشى أن تتخذ الأمور منحى سيئاً».

أجاب هايس بنبرة كئيبة: «معظم الأشخاص الذين يتورطون في تجارة المخدرات تكون نهايتهم سيئة».

وافقته إيفي الرأي قائلة: «هذا صحيح».

ثم ابتسمت لتيبي وقالت لها: «تبدين ساحرة».

- شكراً لك. وأنت أيضاً يا إيفي. طلبت من مارسيلا أن تصمم لي هذا الفستان، وأظن أن فستانك يحمل توقيعها أيضاً.

أومأت إيفي برأسها مبتسمة: «إنها مدهشة».

- معك حق. أرسلت صور أعمالها إلى بعض الأصدقاء في نيويورك. لا تخبريها بالأمر. أريدها أن تكون مفاجأة.

- إذا نجحت خطتك، فستكون ممتنة لك..

- إنها امرأة موهوبة وتستحق ذلك.

قاطعهما هايس قائلاً: «أتيت إلى هنا لأرقص».

وأمسك بيد إيفي وشد عليها.

فزمّ كاش شفتيه وقال: «حقاً؟».

أجابه هايس بصرامة: «أعلم أنني لست بارعاً في الرقص مثلك لكنني أجيد رقصة الماكارينا».

- يا لها من صدفة غريبة لأنني أجيدها أيضاً وعلمتها لتيبي.

- في هذه الحالة، فليربح الأفضل بيننا.

وتوجه نحو قائد الفرقة ليتكلم معه.

توقفت الفرقة عن العزف فجأة، وتبادل أفرادها الحديث ثم ارتسمت على شفاههم ابتسامة عريضة وهم ينظرون إلى هايس الذي عاد إلى مكانه وأحاط إيفي بذراعه. وما أن رفع القائد يده معلناً البدء بالعزف حتى ترددت موسيقى الماكارينا في كافة أنحاء القاعة.

كانت إيفي تعرف الخطوات جيداً لأنها شاهدت العديد من الأشخاص يرقصونها على التلفزيون. ولم تكن الوحيدة التي تذكرت تلك الرقصة، إذا سرعان ما امتلأت الحلبة بالراقصين.

أثبت هايس براعة فائقة، وكان يضحك من كل قلبه شأنه شأن رفيقته في الرقص. ومع بدء المقطع الثاني، وقعت إيفي بين ذراعي هايس القويتين وأراحت خدها على صدره.

قالت له لاهثة: «فقدت لياقتي البدنية. احتاج إلى الخروج من المنزل بين الحين والآخر».

أجابها وهو يبتسم لها: «هذا ما كنت أقوله في نفسي».

والتفتت إيفي نحو مدخل القاعة فالتقت عيناها بعينين زرقاوين لامعتين كحية مجلجلة سامة ملتفة على نفسها..

انتفض قلب إيفي من جراء تلك النظرة الملتهبة التي كان ستيوارت بورك يرمقها بها.

www.rewity.com Breathless

٥ - على أنغام الحب

كانت هذه المرة الأولى التي تقرأ فيها إيفي هذا التعبير الغريب في عيني ستيوارت الشاحبتين، غير أنها لم تفهم لما تتطاير شرارات الغضب منهما. وقفت ميري بجانبه تتأملها وهي مسترخية بين يدي هايس وقد بدت مصعوقة بعض الشيء على الرغم من الابتسامة التي ارتسمت على ثغرها.

نظرت إيفي إلى ستيوارت والبؤس يعتصر قلبها؛ مضى وقت طويل على تلك الليلة الأخيرة التي أمضتها في منزل ميري. كانت تعلم جيداً أنه بذل قصارى جهده ليتجنب رؤيتها منذ ذلك اللقاء الذي جمعهما منذ سنتين تقريباً.

أثار الموقف الغريب الذي وجدت إيفي نفسها فيه اضطرابها، غير أن ستيوارت لم يأبه للأمر وضاقت عيناه الشاحبتان وهما تتفرسان فيها كما ظهر فيهما وميض غريب.

قالت ميري وهي ترغم نفسها على الابتسام رغم الانزعاج البادي على وجهها: «لم أكن أعلم أنك تحب الرقص يا هايس».

بادلها هايس الابتسام وأجاب قائلاً: «لست بارعاً في الرقص، لكن يمكنني أن أتدبر أموري إذا ما اضطررت لذلك».

وجهت إيفي كلامها لميري:

- قررنا الحضور هذا المساء للمساهمة في دعم ملجأ الحيوانات

المحلي. وأظن أن حجم الهبات سيكون هائلاً نظراً لهذا الحشد الكبير.

قال ستيوارت بفظاظة: «أنا أحرص على إرسال شيك إليهم كل سنة».

سأله هايس بفضول:

- هل أتيتما معاً؟

أجابت ميري: «لم نكن مرتبطين بأي موعد هذا المساء فطلبت من إحدى الممرضات أن تحل محلي وقررت المجيء لرؤية إيفي لأنني لم أرها منذ فترة طويلة جداً».

شعرت إيفي بارتباك شديد. لمَ تتصرف ميري بهذه الطريقة الغريبة؟

قال هايس لميري وقد افترت شفتاه عن ابتسامة عريضة: «لم أتخيّل يوماً أن تصبحي ممرضة. ما زلت أذكر يوم أغمي عليك عندما اضطرت لمداواة الجرح الذي أصيب به حصانك العجوز».

- ليتني أستطيع أن أنسى تلك الحادثة.. وخاصة البقعة التي وقعت فيها.

- وقعت في كومة من السماد الطري. أقسم بأنها استحمت ثلاث مرات في ذلك اليوم لتتخلص من الرائحة.

عادت الفرقة تعزف الموسيقى من جديد واختارت هذه المرة لحناً حالماً هادئاً. نظر هايس إلى ميري بطرف عينه وسألها: «هل ترغبين في الرقص؟».

ترددت ميري قليلاً فسارعت إيفي تشجّعها: «هيا يا ميري».

استرخت ميري قليلاً وسمحت لهايس بأن يمسك بيدها ويقودها إلى حلبة الرقص. هل إيفي تتوهّم أم أن ميري تبدو فعلاً وكأنها تحلق في الجنة وهي بين ذراعيّ هايس النابضتين بالرجولة؟

سألت تيبي ستيوارت: «أتجيد الرقص سيد يورك؟».

www.rewity.com Breathless

هز ستيوارت رأسه ودس يديه في جيبيه وأجابها: «كلا، لا افعل».

ابتسمت تيبي له قائلة: «وأنا أيضاً.. لنقل إنني لست بارعة في الرقص لكنني أحاول أن أتعلّم».

شدها كاش إليه قائلاً بنبرة مفعمة بالحنان: «أجل يا حبيبتي.. هيا بنا.. يمكننا أن نتمرن قليلاً. نراكما لاحقاً».

وجدت إيفي نفسها وحيدة برفقة ستيوارت، فلم تقوَ على كبح اضطرابها. التفت إليها وراح يتأملها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها ثم قال لها بصوت عميق هادئ: «أعجبني فستانك».

- شكراً لك.

وأثارت نظراته المتفرسة ارتباكها، فأردفت: «أنا مسؤولة عن مسك حسابات صاحبة المتجر التي صممت هذا الفستان. إنه مجرد نموذج للعرض وهي تأمل أن تجد من يشتريه».

ألقى نظرة سريعة على أخته التي ترقص برفقة هايس ثم قال لها على نحو غير متوقع: «كانت ميري متيمة به في مراهقتها. لحسن الحظ أنها تمكنت من الشفاء من هذا الهوى فهايس رجل يحب المخاطرة، وتورط في العديد من المعارك بالأسلحة النارية منذ أن تم تعيينه شريفاً. وقد علمت أنه نجا بأعجوبة من المعركة الأخيرة. لا يمكن لميري أن تنجح في لعب دور زوجة رجل قانون».

- لكنها ممرضة ناجحة.

- نعم، معك حق. لكن المرضى يعودون إلى منازلهم بعد شفائهم فيما زوجة رجل القانون تظل ساهرة طوال الليل آملة أن يعود سالماً معافى إلى المنزل.

ثم نظر إليها مضيفاً: «هنا يكمن الفرق».

أحست إيفي بالذنب وهي تتذكر التعابير التي ارتسمت على وجه ميري عندما دعاها هايس للرقص وكأنها تعدّت على ممتلكات شخص

آخر من دون وجه حق. وبعد الكلام الذي سمعته على لسان ستيوارت، لم تستبعد أن تكون ميري قد أخفت عن الجميع حقيقة المشاعر التي تكنّها لهايس. صحيح أن ستيوارت معجب به إلا أنه يعتبره طاعناً في السن بالنسبة إلى أخته كما أنه يمارس مهنة في غاية الخطورة. وكانت إيفي واثقة من أن ميري لا تجرؤ على الاعتراض على مشيئة أخيها.

سألها بنبرة فظة:

- لمَ أتيتِ إلى الحفل برفقة هايس؟

أثار سؤاله الوقح ذهولها وأرادت أن تقول له إن الأمر لا يعنيه لكنها لم تقوَ على ذلك.

- لم يشأ أي منا الحضور بمفرده.

- إنه شاب ميسور وعازب.

- هل تحاول أن تلمّح إلى شيء ما؟

ضاقت عيناه الشاحبتان.

- ستبلغين الواحد والعشرين من العمر قريباً جداً.

لم تتخيّل أنه ما زال يذكر عيد ميلادها.

- أفترض ذلك.

لم تطرف عيناه وهو يقول: «قالت ميري إنك كنت ترغبين في دراسة الغناء الأوبرالي».

- لا بد أنها قالت لك أيضاً إنني لا أرغب في العيش بعيداً عن جاكوبزفيل. ولم أشأ ان أضيّع وقتي في تعلم مهنة لن أتمكن من ممارستها.

- أتريدين أن تمضي بقية عمرك في العمل على مسك دفاتر الآخرين؟

- أحب عملي كثيراً. وأظنك تعلم أنني أكتب المقالات الخاصة باتحاد مربي الماشية.

www.rewity.com Breathless

لم يعلّق على كلامها، وعاد يتأمل أخته الصغرى وهي تتحرك بخفة على حلبة الرقص برفقة هايس. ولم تكد تمضي لحظات قليلة حتى أمسك بيد إيفي وقادها برفق إلى حلبة الرقص وأحاط خصرها بذراعه.

قالت له هامسة وقد حبست أنفاسها من شدة الانفعال: «قلت إنك لا تجيد الرقص».

هز كتفيه بلامبالاة وأجاب: «كذبت عليك».

وضمها إليه بشدة وراحا يتحركان بخفة على وقع الموسيقى وقد أراحت خدها على صدره الصلب.

أحست إيفي بضيق في التنفس فوجوده على مسافة قريبة منها أثار فيها إحساساً مسكراً، أعادها بالذاكرة إلى تلك اللحظات الحميمة التي جمعتهما منذ سنتين. كانت واثقة من أنها في حلم وردي وستصحو منه قريباً جداً لتجد نفسها في سريرها. لكن ما المانع في أن تستمتع بهذه اللحظات التي لا تقدر بثمن؟ فأغمضت عينيها، واستسلمت له بكليتها وشعرت لبرهة من الزمن بقشعريرة تجري في جسده الضخم.

لكن سرعان ما توقفت الموسيقى لتجد إيفي نفسها مرغمة على العودة إلى أرض الواقع بعد أن أرخى ستيوارت قبضته عن خصرها.

تملكها إحساس بالوحدة والفراغ فأحاطت نفسها بذراعيها وأرغمت نفسها على رسم ابتسامة على ثغرها، ابتسامة لم تصل إلى عينيها.

لاحظت إيفي أن ستيوارت كان يمعن النظر إليها.

- تلك الظلال الخضراء تلائمك كثيراً.. إنها تتناغم مع لون عينيك.

وقفت إيفي فاغرة الفم، لا تعرف كيف تتعامل مع هذا الإطراء الصادر عنه.

- حقاً؟

منحها ابتسامة رقيقة، ابتسامة لم يسبق أن ارتسمت على شفتيه من

قبل ما جعل عينيه الشاحبتين تتلألآن، فبدا أصغر سناً وأقل جدية. وبادلته الابتسام.

انضمت ميري إليهما وقد ظهرت على وجهها إمارات غريبة ثم سألت إيفي: «هل تستمتعين بوقتك؟».

أجابت إيفي مشيحة بنظرها بعيداً عن ستيوارت: «كانت رقصة رائعة».

- معك حق.

بدا هايس كئيباً محبطاً عندما انضم إليهم من جديد وقال لهم: «بلغنا أن شحنة من المخدرات ستصل بين لحظة وأخرى. كان هارلي يتابع القضية عن كثب، وعلم أن الكمية التي سيتم تهريبها كبيرة جداً. عليّ أن أرحل. كنا نستعد لهذه اللحظة منذ أشهر طويلة، وهذه هي فرصتنا للنيل منهم».

ثم التفت نحو إيفي وأضاف: «يمكنني أن أطلب من أحد معاونيّ أن يصحبك إلى المنزل».

قاطعه ستيوارت قائلاً: «يمكننا أن نوصلها في طريقنا إلى المنزل. لا تقلق».

- شكراً.

ثم ابتسم ابتسامة عريضة لإيفي قبل أن يقول: «يؤسفني أن أفسد الأمور في موعدنا الأول. لكن أعدك بأن أعوض عليك في المرة المقبلة».

- لست مستاءة يا هايس. اذهب وقم بعملك. يمكننا الخروج معاً في مناسبات أخرى.

- أشكرك على حسن تفهمك. أراك لاحقاً.

وغمز ميري بعينه ثم أومأ لستيوارت برأسه وتوجّه نحو الباب الأمامي.

www.rewity.com Breathless

لاحظت إيفي أن ميري تعض على شفتها السفلى فيما عيناها تلاحقان هايس وهو يجتاز القاعة الفسيحة متوجهاً نحو الباب الأمامي إلا أنها ارتأت ألا تعلق على الموضوع.

- ما رأيك لو نحتسي بعض العصير؟

بدت ميري مشوشة الذهن وهي تجيب: «نعم. لكني أود أن أتحدث قليلاً إلى شيلبي. سأعود في الحال.

وتوجهت ميري نحو شيلبي بينما سكبت إيفي كأسين من العصير وناولت إحداهما لستيوارت.

قال لها باشمئزاز: «أنا أكرهه».

- يمكنني أن أحضر لك فنجاناً من القهوة.

وأخذت منه الكأس ووضعتها على الطاولة.

- نعم، أفضل القهوة مع القليل من الكريما ومن دون سكر.

صبت القهوة في الفنجان، وأضافت القليل من الكريما، ثم ناولته إياه بيدين مرتجفتين.. فأحاط يديها بيديه لئلا يقع الفنجان منهما وهو يقول برقة: «لا بأس. لا داعي للخوف».

حاولت إيفي أن تدرك ما الذي يحصل لها لكن من دون جدوى... لمسة واحدة من يديه الدافئتين كانت كافية لتتسارع نبضات قلبها... ونظرة واحدة من عينيه الشاحبتين كافية لتزرع في نفسها البهجة، والإثارة والذعر. إنها المرة الأولى التي يثير فيها رجل رد الفعل الجسدي المتهور هذا لديها، منذ تلك الليلة الرهيبة حين عانقها بشغف لا يوصف. منذ أكثر من سنتين وتلك اللحظات المحمومة تطاردها في أحلامها، وتفسد عليها فرص التعرّف إلى أي رجل آخر.

ناولته الكوب بأصابع مرتجفة ثم سألته وعلى ثغرها ابتسامة خوف: «هل كمية الكريما كافية؟».

أومأ برأسه ثم راح يرتشف قهوته بصمت تاركاً إيفي ترتشف شرابها

بسكون، وقد استعادت الفرقة الموسيقية نشاطها واختارت هذه المرة مقطوعات هادئة خفيفة الوقع.

انضمت ميري إليهما من جديد وقد علت وجهها إمارات الفرح.

- طلبت من شلبي أن تحتفظ لي بأحد الكلاب التي تتولى تربيتها. إنها من أفضل كلاب الحراسة.

قطّب ستيوارت جبينه وسألها: «وما الذي ستفعلينه بكلب الحراسة؟».

- ليس لي... تعرّفت في المستشفى على فتاة صغيرة مصابة بورم في الرأس. من المفترض أن تخضع المسكينة لعملية جراحية لكنها مرعوبة جداً. ولما سألت والديها عما يمكن أن يساهم في التخفيف من خوفها، قالا لي إنها لطالما حلمت بأن تقتني كلب حراسة. والمشكلة أنه لا أحد يعلم بعد ما إذا كان هذا الورم خبيثاً أم لا.

سألتها إيفي: «كم تبلغ من العمر؟».

- ١٠ سنوات.

أجفلت إيفي لدى سماعها ذلك فيما قال ستيوارت: «أصبح لديها الآن ما تتطلع إليه. أنت درة لا تقدر بثمن يا ميري».

نظرت إليه بعينين مليئتين بالحنان وقالت: «وأنت أيضاً.. ما رأيك لو نرقص أو نأكل قبل أن ننفجر بالبكاء ونحرج إيفي؟».

رفع ستيوارت حاجبيه ورمى إيفي بنظرة خبيثة ثم قال: «معاذ الله أن نحرجها».

ثم وضع فنجان القهوة جانباً وأضاف: «أظن أنه من الأفضل أن نرقص».

ثم قادها إلى حلبة الرقص.

أقسمت إيفي بأن تلك السهرة من أجمل السهرات في حياتها إذ رقصت حتى طلوع الفجر مع ستيوارت الذي لم يأبه للأعين الفضولية

www.rewity.com Breathless

التي راحت تراقبهما بخبث. فالكل يعلم أن ستيوارت يميل إلى العلاقات العابرة وإيفي لم تواعد أحداً منذ فترة طويلة. كما أنّ اهتمام ستيوارت الفائق بها أثار دهشة الكثيرين.

من جهتها، رقصت ميري مع الكثير من الشبان لكنها بدت هادئة على غير عادتها منذ رحيل هايس فتساءلت إيفي في سرها ما إذا كان مظهرها السلبي هذا يخفي وراءه نيراناً متأججة.

عندما حان وقت المغادرة، أخبرت ميري شقيقها بأنها ستعود إلى المنزل برفقة أحد الإخوة بايتس الذي أصر على أن يوصلها بنفسه. لم تشأ ميري الاستفاضة في شرح الأسباب، وتجنب ستيوارت بدوره طرح الأسئلة فشبك أصابعه بأصابع إيفي وقادها إلى سيارته الفخمة الجديدة.

- لا أذكر أنني كنت أستمتع بوقتي إلى هذا الحد في الحفلات الراقصة.

ردّت مبتسمة: «الهونا كثيراً. لست معتادة على السهر حتى ساعة متأخرة من الليل».

- فقدت الاتصال بميري منذ انتقالها للعمل في سان أنطونيو.

- ربما.. لكن ميري صديقتي المفضلة وستبقى كذلك حتى إن لم يتسنَ لنا أن نتقابل كثيراً.

لزم الصمت لبعض الوقت ثم سألها: «هل من أخبار عن راشيل؟».

أخذت نفساً عميقاً وأجابته: «أجل، اتصلت بي الأسبوع الماضي».

- كيف حالها؟

لم تتمكن إيفي من إخفاء ذهولها.. لمَ يطرح هذه الأسئلة كلها عن أختها التي يكرهها؟

- ما زالت على حالها على ما أظن.

باستثناء أنها على علاقة برجل ثري ولكن متزوج، وتبقى منتشية طوال الوقت، كما أضافت في سرها.

رماها بنظرة سريعة وقال: «ليس هذا ما سمعته».

أحست بغصة في حلقها إ نسيت إيفي أن ستيوارت ينتمي إلى عالم رجال الأعمال الناجحين والأثرياء، ولا بد أنه على علم بأمر عشيق راشيل الأخير.

- ما الذي سمعته؟

- سمعت أنها ستشكّل محور سبق صحفي. ولهذا السبب بالذات قررت أن أرافق ميري إلى الحفل الراقص إذ ذكر هايس أنه دعاك إلى الحفل الراقص، وأردت التحدث إليك على انفراد من دون أن ينتشر الخبر في البلدة كلها. فالمنزل الذي تقيمين فيها يفتقر إلى الخصوصية، والسيدة رودس تعشق القيل والقال. لذا، كنت مرغماً على اختيار مكان حيادي.

راح قلبها يتخبط بين ضلوعها. عادت راشيل من جديد لتنغص عليها حياتها. هل ستتمكن يوماً من التحرر من مشاكل أختها التي لا تنتهي؟

قال لها باقتضاب: «لا أريد رؤية هذه التعابير على وجهك. أعلم جيداً أنك لا تستطيعين التأثير فيها لكني أخشى أن يأخذك صحفي متحمّس على حين غرة، ويطرح عليك أسئلة شخصية تتعلق بأختك ليتمكّن من نشرها. فالفضائح تُكسب الكثير من المال، خاصة إذا تمكّن الصحافي من إيقاع أقارب الضحية في فخه».

وضعت إيفي يديها على وجهها وسألته: «هل الأمر سيء إلى هذا الحد؟».

- سيء بما يكفي.

انعطف ستيوارت عن الطريق الرئيسية وسلك طريقاً ترابية فرعية ثم أطفأ المحرك. وعندما نظرت إيفي من حولها وقد بدا الاضطراب على وجهها، أضاف: «هذه أرضي. لم أشأ أن نجلس امام منزل السيدة

www.rewity.com Breathless

براون التي ستقف خلف ستائر النافذة وتختلس النظر إلينا طوال الوقت».

فك حزام الأمان والتفت إليها واضعاً يده خلف مقعدها.

– عليك أن تعرفي ما ينتظرك قبل أن يتصدّر الخبر الصفحات الأولى في الصحف الشعبية.

لوت إيفي شفتيها استياءً. كانت تدرك تماماً التأثير السلبي الذي تتركه أخبار الصحف الشعبية على حياة الناس. لكنها لم تتخيّل أنها قد تقع ضحيتها يوماً. على أي حال، لم تكن التعابير المرتسمة على وجه ستيوارت تبشر بالخير.

– قل ما عندك.

– علمت أن راشيل تزوّد رجلاً فاحش الثراء بالمخدرات ما جعله يتوهم أنه مغرم بها. لكن المشكلة هي أن المعني تزوّج مؤخراً بملكة جمال سابقة لا تريد مشاركته أو مشاركة ثروته مع أي امرأة أخرى، فما بالك بممثلة مبتدئة تعاشر تاجر مخدرات؟ أخبرني صديق مشترك أنها تنوي فضح أمرهما على الملء. وإن فعلت، فلن تتمكّن راشيل من العمل في برودواي بعد اليوم، ومن الممكن أن يدخل صديقها السجن. وأخشى أن تُزج راشيل في السجن أيضاً، إذا ما قررت الزوجة أن تنشر المعلومات الثمينة التي تمكّن تحريها الخاص من جمعها إذ يبدو أنها تمكّنت من كشف العلاقة التي تربطها بكبار تجار المخدرات الذي يمارسون نشاطاتهم عبر الحدود. إنهم الأشخاص أنفسهم الذين يحاول هايس وكاش وكوب القبض عليهم.

اكفهر وجه إيفي وبدا عليه الشحوب على الرغم من الظلمة التي تلف المقعدين الأماميين، فالرسالة التي طلبت منها راشيل أن تبلّغها لصاحب متجر الحلوى عبارة عن شيفرة فعلاً. وأحست بموجة من الخوف تضربها بقوة وتسحقها.

– ليتني أتوه في غابات الأمازون قبل أن تصل راشيل إلى نقطة اللاعودة.

– مهما طال غيابك، عليك أن تعودي إلى ديارك في نهاية المطاف.. فالفرار لا يحل المشكلة.

مالت برأسها إلى الخلف وقد استولى عليها الإرهاق. ففي بلدة صغيرة مثل بلدة جاكوبزفيل، ستشكّل هذه الفضيحة مادة دسمة للقيل والقال، وستجد إيفي نفسها بين ليلة وضحاها حديث الجميع هنا.

أحست فجأة بقشعريرة تسري على طول عمودها الفقري وتناهى إلى مسمعها صوته وهو يقول: «عندما كنت في المدرسة الثانوية، ملأت راشيل البلدة بالأكاذيب عنك... وأفضّل ألا أخبرك بما قالته لي عنك. في بادئ الأمر، صدّقتها لكن ما حصل بيننا منذ سنتين أثبت لي أنها مجرد أخبار ملفقة. المهم هو أنني عاقبتها وأرغمتها على مغادرة البلدة».

شعرت إيفي بموجة من الاحمرار تجتاح خديها وأملت في سرها ألا يلاحظ ذلك. إذن، هذا هو السبب وراء رحيل أختها المفاجئ وسوء معاملتها لها. لقد ظنت أن ستيوارت يحمي أختها الصغرى ما أشعل نيران الغيرة في قلبها.

وتابع كلامه قائلاً: «يقول كوبر كولترين إنك كنت تأتين إلى مكتبه باستمرار بسبب الجروح التي كنت تصابين بها إثر «وقوعك» في المدرسة».

قفز قبلها من مكانه وأجابته على الفور: «كنت فتاة خرقاء».

– هراء! كان والدك مدمناً بينما حرصت راشيل على أن تملأ رأسه بالأكاذيب عنك كما فعلت مع الكثيرين. سمعتها مرات عديدة تتباهى بأنها نجحت في إثارة مشكلة بينك وبين والدك. كان تسعى إلى تحريضه ضدك لتتمكّن من أن ترث أمواله كلها، وقد تمكّنت من تحقيق مرادها.

www.rewity.com Breathless

أصيبت إيفي بالغثيان لمجرد إدراكها أنه على علم بمشاكلها كلها.

- كان والدي شديد التعلق بها.

- هذا أمر طبيعي لاسيما أنه كان واثقاً من أنك لست من صلبه.

شهقت إيفي واتسعت عيناها اللوزيتان قبل أن تسأل: «ماذا؟».

- كنت متأكداً من أنهم أخفوا الأمر عنك. ادّعت راشيل أن والدتكما أطلعتها على هذا السر قبل وفاتها. يبدو أنها كانت على علاقة بأحدهم وأنت ثمرة هذه العلاقة.

لم تجد الكلمات المناسبة للتعبير عن الاشمئزاز الشديد الذي شعرت به، فسألته متلعثمة: «هل أنت واثق مما تقول؟».

أجابها بنبرة مترددة: «لست أدري. إذا أردت التأكد من الأمر، فيمكننا أن نأخذ شعرة من الفرشاة الخاصة بوالدك أو عينة من دمه ونجري فحصاً للخصائص الجينية. في حال لم نتمكّن من العثور على عيّنة من دمه لدى كولترين، فيمكننا الاعتماد على فئة الدم فقد علمت أن تحديد الأبوة ممكن بهذه الطريقة. لكننا لن نتمكن من التأكد إلا إن حصلنا على عينة من الخصائص الجينية العائدة لوالدك. إنها الطريقة الوحيدة لإثبات أبوته لك».

سألته مصعوقة: «وهل ستفعل هذا من أجلي؟».

- من دون أدنى شك.

كان من الصعب عليها أن تتقبل هذه الحقيقة بسهولة. لا عجب في أن والدها كان يقسو عليها إلى هذا الحد! واستغلت راشيل هذا الأمر لتحرم إيفي من ميراث عائلتها وتستأثر بالأملاك كلها.

قالت بنبرة عالية: «لا بد أنها تكرهني».

- كانت تغار منك.

- ولمَ تراها تغار مني؟ لا أظن أنها كانت تحسدني على جمالي.

مد يده وأمسك بخصلة من شعرها قبل أن يجيب: «كفي عن هذا

الكلام. . العيب الوحيد فيك هو سوء تقديرك لنفسك. لكنني لم أكن أقصد المظهر الخارجي فراشيل تغار من طريقة تعاملك مع الناس، لأنك تسعين إلى إبراز أفضل ما فيهم، وترفعين معنوياتهم وتعززين ثقتهم بأنفسهم. وأنت لا تحبين الثرثرة أو تلفيق الأكاذيب، وتسارعين إلى مساعدة كل من يعاني من ضيق أو مشكلة. أما راشيل فلم تحب يوماً إلا نفسها؛ وقد جعلتها تصرفاتك تشعر بحقارتها، ما أثار غيرتها».

- لكنها كانت جميلة جداً، والشبان يعشقونها. حتى الشبان الذين حاولت مواعدتهم. . .

أومأ برأسه وقال: «أعلم أنّ راشيل كانت تجد متعة كبيرة في سرقة كل فتى تحضرينه إلى المنزل. ونجحت في تحريض جميع صديقاتك ضدك باستثناء ميري، مع أنها لم تنسَ أن تلفق لها الأخبار عنك».

وأشاح بنظره بعيداً وقد تصلب جسده فجأة. لم تكن إيفي بحاجة إلى التفكير طويلاً لتدرك أن ميري نقلت إليه ما سمعته عنها.

- يدهشني أنك لم تحاول منع ميري من التقرب مني.

نظر إليها بطرف عينه وأجاب: «حاولت ذلك لكنها أبت الإصغاء إليّ. وتوقفت عن الضغط عليها عندما أدركت حجم الأكاذيب التي لفقتها راشيل عنك».

أحست إيفي بالانزعاج وقد علمت ما يقصده بالضبط؛ إذ بدا واضحاً أنه عاد بالذاكرة إلى تلك الليلة المشؤومة حيث أثبتت له تصرفاتها أنها عديمة الخبرة.

- لا أظن أن كوبر يوافق على أن يفشي أسرار مرضاه لكنه قريبي وصديقي المفضل، ويعلم أنني أعتبر نفسي مسؤولاً عنك منذ وفاة والدك. كان علي أن أجمع معلومات وافية عن حياتك في المنزل، في حال قررت راشيل العودة وافتعال المشاكل. لم يكن كوبر يعرف أنني استخدمت تحرياً خاصاً وزودني بكافة المعلومات التي أحتاج إليها.

www.rewity.com Breathless

لم تتمكن من النظر إليه. وأحست وكأن كدماتها وجروحها مرئية بوضوح لكل من ينظر إليها.

- لا أظنك أخبرت أحداً عن الموضوع، أليس كذلك؟

هزت إيفي رأسها نافية وردّت: «لم أستطع إخبار أحد حتى ميري».

- لكن ميري ثاقبة الذهن أكثر مما تتخيلين. كانت تعلم لما تغطين ساقيك عندما تذهبين إلى المدرسة. كنت تخشين أن يرى أحد الكدمات التي يخلّفها حزامه.

رفعت نظرها إليه وهي تعض على شفتها السفلى. وتذكّرت في تلك اللحظة كلام ميري عن طفولته، والعقاب الذي أنزله والده به لرفضه احتراف لعبة كرة القدم.

سألته بنبرة هادئة: «أنت أيضاً نلت نصيبك من الضرب، أليس كذلك؟».

تردد قليلاً ثم عقد حاجبيه الكثيفين وأجابها: «أجل. لم أذكر الأمر أمام أحد من قبل. فالذكريات ما زالت تؤلمني حتى في هذه اللحظة».

- لو بقي والدي حياً حتى يومنا هذا واستمر في اعتماد العنف معي لزُج في السجن حتماً.

- ووالدي أيضاً.

وابتسم لها ابتسامة واهية ثم أضاف: «أنا واثق من أن والدينا كانا ليشغلا الزنزانة نفسها».

أطلق تنهيدة عميقة، وداعب عنقها بأنامله الرقيقة فأحست بقلبها يتخبّط بين ضلوعها.

- لن أسمح لأحد بأن يضرب أولادي بالحزام.

أجابته على الفور: «وأنا أيضاً».

ابتسم لها ابتسامة مفعمة بالحنان وقال: «من المؤسف ألا يتمكن المرء من اختيار أقاربه».

بحثت عيناها عن عينيه وهي تجيبه: «وكأنك تقرأ أفكاري. جلّ ما يهم راشيل هو أن تحظى بفرصة لعب دور البطولة في برودواي لكن الفضيحة التي ستطالها ستقضي على مستقبلها المهني، وأخشى أن تدخل السجن بتهمة الاتجار بالمخدرات. لست أدري ما يمكن أن تفعله إذا ما وجدت نفسها في مواجهة هذه المشاكل كلها فهي ضعيفة جداً على المستوى العاطفي».

- لكنها اختارت طريقها بنفسها يا إيفي وعليها أن تتحمل عواقب اختيارها.

وتسللت يده القوية الدافئة إلى مؤخرة عنقها وهو يضيف: «أظن أننا أكثرنا من الكلام الليلة».

وأمسك بوجهها بين يديه برقة وأضاف: «لا داعي للذعر».

كانت عواصف مشاعرها الهوجاء تتقاذفها يميناً ويساراً لكنها استسلمت لها. صحيح أنّ المشاعر التي خالجتها تشبه تلك التي أحست بها منذ سنتين، إلا أنها بدت هذه المرة أكثر تفجراً. ولم تحاول أن تخفي عنه توقها الشديد إليه فدست يدها خلف عنقه وبادلته العناق بشغف فائق. تردد ستيوارت للوهلة الأولى إلا أنه عاد وأطلق العنان لأهوائه وضمها بين ذراعيه وقد أصبح عناقه أكثر إلحاحاً.

تأوّهت إيفي فرفع رأسه ونظر في عينيها المصعوقتين قائلاً: «اعتبري نفسك في رحلة استكشاف لأرض جديدة».

- وهل تنوي أن تلعب دور الدليل؟

ابتسم لها ابتسامة عريضة بينما تركّزت نظراته على دقات قلبها المتسارعة والتي تردد صداها في الجزء الأعلى من جسدها المضطرب..

قالت لاهثة: «لست واثقة».

فقاطعها: «وأنا ايضاً».

www.rewity.com Breathless

وعانقها سريعاً ثم أضاف: «كانت فترة طويلة ومملة وأظن أنني ضبطت نفسي بما فيه الكفاية».

بينما كانت تحاول أن تدرك مغزى كلماته، تسللت يده إلى شعرها بمهارة وثقة طردت من ذهنها أي رغبة في الاعتراض. فتعلّقت به واستسلمت لتلك اللحظات الجميلة.

٦ - بين الماضي والحاضر

كانت إيفي تسبح في فضاء البهجة حين تناهى إلى مسمعها صوت صفارة الشرطة.

ولا بد أن ستيوارت سمع الصوت أيضاً إذ قطّب جبينه وهو ينظر في المرآة ثم صرخ: «لا أصدق هذا».

لاحقت نظراته فرأت أنواراً زرقاء شديدة التوهج تتقدم بسرعة كبيرة على الطريق الترابية خلفهما.

قال لها متمتماً: «إنه هايس».

ثم أطلق شتيمة خافتة جعلت خديها يتوهجان خجلاً.

تجاوزتهما السيارة البيضاء العائدة لشريف مقاطعة جاكوبز ثم عادت أدراجها ليتمكّن هايس من التحدث مع ستيوارت عبر نافذة السائق المفتوحة. في هذه الأثناء، كانت إيفي قد عادت بسرعة إلى مقعدها، ورتبت مظهرها. من حسن حظها أن الظلمة حالكة ولن يتمكّن هايس من ملاحظة مشاعرها المضطربة.

سأله ستيوارت: «ألست بعيداً بعض الشيء عن أرضك؟ هذه أرضي».

حدق هايس فيه لبعض الوقت ثم قال: «تمكّنا من ضبط شاحنة تنقل كمية كبيرة من المخدرات وفي داخلها ثلاثة رجال مسلحين. ألقينا القبض على اثنين منهم لكن الثالث تمكّن من الهرب. لا أظن أنه قد

www.rewity.com Breathless

يبتعد كثيراً لكنه يحمل سلاحاً أوتوماتيكياً».

- يا للهول!

- وعندما رأيت السيارة متوقفة في الحقل...

ثم عقد حاجبيه وسأل: «ما الذي تفعلانه هنا بحق السماء؟».

أجابه ستيوارت على الفور: «كنا نتشاور بشأن فحص الخصائص الجينية».

زمّ هايس شفتيه وقد بدا غير مقتنع بجوابه، ثم قال: «لو كنت مكانك، لأوصلتها إلى منزلها. من الأفضل ألا نعبث مع أمثاله من المجرمين».

وانطلق بسيارته وصوت صفارة الإنذار يصدح في أرجاء المكان.

التفت ستيوارت نحو إيفي والاستياء بادٍ على وجهه ثم قال: «أظن أننا تأخرنا كثيراً. ولست في مزاج يسمح لي بالدخول في عراك مع مهرب المخدرات».

- وأنا أيضاً.

غير أنها لم تتمكن من كبت خيبة أملها بعد تلك اللحظات الجميلة التي جعلتها تحلق فوق السحاب.

- لا أرغب في الابتعاد عنك يا إيفي لكن المكان والزمان ليسا ملائمين على الإطلاق.

واكتفى بهذا التعليق الغامض قبل أن ينطلق بسيارته ينهب الأرض نهباً ليتمكّنا من الوصول إلى منزلها بسرعة.

ترجّل من السيارة قبلها وفتح لها الباب ثم رافقها إلى بوابة المنزل الأمامية حيث أحاط خصرها بيده، وجذبها نحوه ليتمكّن من النظر في عينيها الحزينتين. قال لها بنبرة مثقلة بالندم: «ما كان عليّ أن أخبرك عن والدك بهذه الطريقة الفظة. إنني آسف..».

- لا أظن أن الصحف ستتعامل مع هذا الموضوع بشكل مهذب،

إذا ما قررت التطرق إليه. أشكرك على التوجيهات.

أحكمت يداه الضخمتان قبضتهما على خصرها النحيل وقال: «اذهبي لمقابلة كوبر فأنا واثق من أنه سيبذل قصارى جهده لمساعدتك. ولا تقلقي بشأن النفقات فسأتكفل بها كلها».

- حسناً.

وأضاف بنبرة حازمة: «لا داعي للقلق بشأن أختك بعد اليوم فلو كان الوضع معكوساً، لما تكبدت عناء التفكير فيك».

- أعلم هذا.. لكن لم يعد لي أقارب سواها.

أخذ نفساً عميقاً وأجابها: «لا أتصور أن هذا قد يجدي نفعاً».

ومال نحوه ليطبع قبلة رقيقة على جبينها، فوقفت على رؤوس أصابعها لتتمكّن من الاقتراب منه أكثر. وأحست بنفسها ترتجف عندما قبل دعوتها الصامتة وضمها إليها بقوة. لكن ما إن سمعها تتأوه حتى ابتعد عنها بفظاظة.

صُعقت لدى رؤيتها التغير المفاجئ في تصرفاته. كم كانت تحب أن تعانقه وتضمه إلى صدرها! فالإحساس الذي يثيره في نفسها فاق حتى أكثر أحلامها جموحاً.

قال لها هامساً: «من الأفضل أن نتوقف عند هذا الحد، فنحن في مكان عام».

أجابته هامسة بدورها: «هل نحن في مكان عام؟».

أطلق ستيوارت تنهيدة طويلة وقال: «إذا لم أتوقف عن معانقتك فسنصبح حديث البلدة».

أدرك أن عليه أن يكون حازماً من أجل مصلحتهما معاً فالمكان ليس ملائماً على الإطلاق. أمسكها من خصرها برقة قائلاً: «عليّ أن أسافر إلى دنفر للمشاركة في ورشة عمل. سأتصل بك فور وصولي إلى هناك».

www.rewity.com Breathless

وقفت تحدق فيه وقلبها يتخبط بين ضلوعها. وإذ لاحظ الذهول الذي بدا في عينيها الكبيرتين، أردف قائلاً: «الزمن يتغير والناس يتغيرون. ستبلغين الواحد والعشرين الشهر المقبل أليس كذلك؟».

أومأت برأسها وهي في حالة من الانشداه المطلق.

علت إمارات الكآبة وجهه للحظات قبل أن يضيف: «ما زلت في مقتبل العمر لكن لا يهمني».

ضمها بين ذراعيه من جديد وراح يعانقها بشغف شديد فأحاطت عنقه بذراعيها وتعلقت به بقوة فيما قدماها بالكاد تلامسان الأرض. كان الأمر أشبه بحلم لا ترغب في الاستيقاظ منه. وعندما تأوهت بنعومة، أنزلها على الأرض وأفلتها بخشونة وقد تسارعت أنفاسه.

- لا توقعي نفسك في المتاعب.

أجابته بصوت خافت وعيناها لا تفارقان عينيه: «أنا لا أوقع نفسي في المشاكل أبداً».

ابتسم لها ابتسامة رقيقة وأجابها قائلاً: «كان هذا من قبل».

- قبل ماذا؟

- قبل أن تتورطي معي. أقفلي الباب وراءك.

تسمرت إيفي مكانها عاجزة عن فهم مغزى كلامه. أحست بغصة في حلقها ولاحقته عيناها بتوق شديد بينما هو يتوجه إلى سيارته. شغّل محرك السيارة وأضاء المصابيح لكنه لم يتزحزح من مكانه فأدركت أنه لن يرحل قبل أن تدخل إلى المنزل. عندئذ، لوّحت له بيدها، ودخلت إلى المنزل وأقفلت الباب وراءها. وما إن أطفأت أنوار الشرفة حتى سمعت هدير سيارته.

في صباح اليوم التالي، وجدت السيدة براون وليتا تبتسمان لها بخبث وقد بدت أساريرهما منشرحة.

سألتها السيدة براون: «هل أمضيت وقتاً ممتعاً مساء أمس يا

عزيزتي؟ لاحظت أن الشريف هايس لم يوصلك إلى المنزل. هل كانت تلك سيارة ستيوارت يورك؟».

أجابت إيفي راضخة وقد كرهت الاحمرار الذي اجتاح خديها: «أجل. اضطر هايس للرحيل».

قالت لها ليتا: «سمعنا عبر الراديو أن إطلاق نار قد حصل. وأُدخل المساعد كلارك إلى المستشفى بعد أن أصيب بطلق ناري».

- وأُصيب أحد المشتبه بهم أيضاً. يُقال إن هايس تمكّن من النيل منه.

قالت إيفي متفادية الدخول في أي تفاصيل: «التقيناه في طريق عودتنا إلى المنزل وقال لنا إن مساعده أصيب بطلق ناري في وركه لكنه لم يأتِ على ذكر إصابة أحد مهربي المخدرات».

أجابت السيدة براون: «لم يعثروا عليه في الشاحنة عند ضبطها بل كان يختبئ في قن للدجاج على مقربة من الطريق العام. رأى هايس الدجاجات تتطاير يميناً ويساراً فتوجه إلى المكان ليتحقق من الأمر».

وأطلقت ضحكة خافتة ثم استطردت قائلة: «الناس يغلقون الأبواب على دجاجاتهم لئلا تلتهمها الثعالب ولا أحد يُخرجها في الليل ما جعل هايس واثقاً من أن أحد مهربي المخدرات يختبئ في المكان. أطلق هذا الأخير النار على هايس لكنه لم يصبه. أما هايس فنجح في النيل منه».

هزت إيفي رأسها قائلة: «إنه يجازف كثيراً بحياته. لن ترضى أي امرأة بالزواج منه إلا إذا كانت تتحلى بالكثير من الشجاعة».

- أظن أن هذا هو سبب بقائه عازباً حتى الآن.... هايس متهور منذ صغره. انضم إلى الشرطة وهو في السابعة عشرة... لا شك في أن والده أثّر فيه تأثيراً كبيراً».

علّقت إيفي مبتسمة:

- كان والده رجلاً ظريفاً ويحب الورود كثيراً. كان يملك أجمل

www.rewity.com Breathless

حديقة في الجوار ما جعل الناس يظنون أن زوجته هي من يعتني بها.

علقت السيدة براون قائلة: «أراهن أن هايس لا يزرع الورود».

وقالت ليتا: «كان لديه شقيق صغير أدمن على المخدرات، ويُقال إنه توفي بجرعة زائدة. لم يتمكن أحد من معرفة هوية الشخص الذي زوده بكمية الكوكايين التي أودت بحياته. يُقال إن هايس مصمم على العثور على قاتل أخيه، ولن يهدأ له بال قبل أن يُدخل تاجر المخدرات إلى السجن. إنّه مقتنع بأن مينيت راينور هي من زوّد بوبي بالمخدرات، لكنني لا أوافقه الرأي لأن مينيت ليست من هذا النوع».

أومأت إيفي برأسها وقالت: «معك حق. لكنه ينظر إلى الأمور من منظار مختلف. فكلما اشتبه بشخص ما، يخرج عن طوره. وهذا مخيف نوعاً ما».

- أنا معجبة جداً به لأنه لا يسمح لأي مجرم بأن يفلت من قبضته.

وافقتها إيفي الرأي قائلة:

- هذا صحيح.

إلا أنّ بالها كان مشغولاً بستيوارت وما آلت إليه علاقتهما، ونيران التوق والأمل في حياة جديدة تستعر في داخلها.

خرجت في ذلك النهار لمقابلة عملائها، غير أن الشوق إلى ستيوارت بقي يتآكلها وانتظرت اتصاله بفارغ الصبر. أدركت أنه ربما كان يمازحها، لكن النظرة التي رأتها في عينيه تلك الليلة نزعت إلى التملك. وكلما تذكرت ذاك العناق المتهور، ثارت في داخلها مشاعر البهجة وكادت تظهر للعلن. على أيّ حال، بدا واضحاً أن ستيوارت يبادلها المشاعر نفسها لكنه أكبر منها سناً وأكثر خبرة، ويستطيع أن يتمالك نفسه.

اتصلت بها ميري فيما هي تتناول سندويشاً في مطعم بربارا من دون أن تستمتع بطعمه. وعندما رن هاتفها، قفزت من مكانها وأخرجته من

حقيبة يدها بلهفة آملة أن يكون ستيوارت. سمعت صوت ميري المفعم بالفرح يحييها.

أجابت إيفي وهي تحاول أن تتمالك نفسها لتخفي خيبة أملها: «مرحباً. كيف حالك؟».

- أشعر بالوحدة وأريد منك أن تأتي لتمضية عطلة نهاية الأسبوع برفقتي، فما رأيك؟

في الماضي، كانت إيفي تطير فرحاً كلما دعتها ميري لزيارتها لكن الوضع اختلف اليوم لأن إيفي تخفي أسرارها عن صديقتها المفضلة. لم تعلم ما إذا كان عليها أن توافق إذ خشيت أن تفضح المشاعر التي تكنها لستيوارت أمرها إذا ما تواجدا تحت سقف واحد. ولم تشأ أن تعلم ميري بالأمر فعلاقتهما ما زالت في بدايتها، ولا تريد أن يعلم بها أحد. ماذا لو لم يكن يرغب في وجودها في المنزل؟ ماذا لو كان يمارس إحدى ألاعيبه التي لا تعرف قواعدها؟؟

قالت لها ميري قبل أن يتسنى لإيفي الكلام: «لا تقلقي بشأني يا إيفي. لن أتدخل في أمورك الشخصية».

- عفواً؟

أخذت ميري نفساً عميقاً وردّت: «هايس صيد ثمين».

تلعثمت إيفي وسألتها: «هايس؟؟».

- بدا شديد الإعجاب بك. كان مسروراً جداً ليلة البارحة.

وجدت إيفي نفسها أمام مشكلة صعبة إذ لا يمكنها الاعتراف لميري بأنها متيمة بحب شقيقها خشية أن تسارع صديقتها إلى إغاظة ستيوارت أو أن تقدم على أي تصرف يجعله ينفر منها. لكنها لم تكن، في المقابل، على علاقة بهايس أو حتى تسعى إلى ذلك.

- هايس شاب ممتاز لكنه لا يحب الارتباط بعلاقة جدية مثلي تماماً. أريد الاستمتاع بحريتي قبل أن أفكر في أي ارتباط أبدي.

www.lewity.com Breathless

أطلقت ميري تنهيدة أخرى لكنها بدت غريبة هذه المرة: «ألست على علاقة بهايس؟».

- إننا صديقان وحسب يا ميري.

- يسرني ذلك. بالمناسبة، هل سمعت شيئاً عنه؟

وتابعت تقول: «سمعت عن حصول إطلاق نار وإصابة أحدهم بطلق ناري أثناء محاولته القبض على تاجر مخدرات... هل كان هايس؟».

- كلا، كان أحد مساعديه. كما أصيب أحد المهربين أيضاً. لكن هايس بخير.

- الحمد لله.

- تعرفين هايس منذ زمن بعيد.

- أجل.. اعتاد والداه أن يتركاه في منزلنا كلما أرادا مغادرة البلدة لزيارة ذوي والدته في جورجيا. وعلى الرغم من أنه صديق ستيوارت إلا أني لطالما شعرت وكأنه فرد من العائلة.

وأضافت بشكل مبهم: «إنه يكبرني سناً، تماماً مثل شخص أعرفه في سان أنطونيو».

كان فارق السن بين ميري وهايس كفارق السن بين إيفي وستيوارت الذي بدا أنه لا يعير الأمر اهتماماً. لذا، أملت في سرها أن تتمكن ميري من تحقيق مرادها.

- لكنه لا يكبرك كثيراً في السن.

- يقول ستيوارت إنه عجوز مقارنة بي.

أحست إيفي بشيء من المرارة في تلك اللهجة الهادئة.

- إنه شقيقك ويحبك. وهو يظن..

وتوقفت فجأة عن الكلام فسألتها ميري: «ما الذي يظنه؟».

- يظن أن مهنة هايس تجعله لا يليق بك. فهايس يحب المجازفة يا ميري. صحيح أنه شاب ظريف لكنه يحب المخاطرة ولا يهاب

الموت.... ستيوارت يفكر في مصلحتك.

- أدركت الآن سبب قلقه في الآونة الأخيرة. إنما لا يحق لأي فرد من عائلتك أن يقرر مصيرك عنك مهما كان مقدار حبه لك.

- أعلم ذلك. لكن ستيوارت يحبك ويريدك أن تتزوجي برجل يحبك.

أطلقت ميري ضحكة رنانة وأجابتها: «أتظنين ذلك؟».

- أجل. تبدين محبطة. ما رأيك لو تأتين لتناول العشاء برفقتنا هذا المساء؟ تعلمين أن السيدة براون لن تمانع. يمكنني الاتصال بها.

- شكراً لك، لكنني لا أستطيع مغادرة المستشفى لأن وباء الأنفلونزا متفشٍ في كل مكان. قد أحضر عندما تهدأ الأمور...

- حسناً، اعتني بنفسك وكفي عن القلق. قد تكون الحياة عادلة وتصبح الأماني حقيقة.

أجابتها ميري بنبرة ساخرة: «هذا مؤكد».

- إنني جادة في ما أقوله.

تنهدت ميري تنهيدة تنم عن نفاد صبرها وقالت: «لطالما آمنت بالجنيات الطيبات».

- والملائكة أيضاً.. لا تنسي هذا.

- أظن أن ملاكي الحراس يغط في نوم عميق.

- كفي عن هذا الكلام وتعالي لزيارتي متى سنحت لك الفرصة.

- ما رأيك لو تلبّين دعوتي لتمضية عطلة نهاية الأسبوع في منزلي؟ لاحظت أنك انسجمت مع ستيوارت أثناء الرقص. قد تكون عطلة ممتعة.

- سأبلغك الرد في ما بعد. علي أن أقابل عميلاً جديداً.

- أنت وعملاؤك.. حسناً.. انتظر اتصالاً منك..

- سأتصل بك. اعتني بنفسك يا ميري.

www.rewity.com Breathless

وأقفلت إيفي الخط.. مسكينة ميري!

انتظرت إيفي طويلاً لكن من جدوى. ولم تتوانَ حتى عن التحقق ما إذا كان هاتفها يعمل. ومع حلول المساء، باتت واثقة من أنها أساءت فهم كلام ستيوارت. لا بد أنه كان يمزح لكنه ليس من النوع الذي يطلق النكات كيفما اتفق.

ارتدت ملابس النوم، واندست تحت الأغطية ثم مدت يدها لتطفئ المصباح، وإذا بصوت هاتفها يتردد في إنحاء الغرفة. انتفض قلبها، ووثبت بسرعة من سريرها وتناولت حقيبة يدها بحثاً عن هاتفها الصغير. فتحت الهاتف بيدين مرتجفتين ووضعته على أذنها قائلة: «آلو؟».

سمعت صوته العميق عند الطرف الآخر من الخط: «كنت تبحثين عن هاتفك، أليس كذلك؟».

ضحكت إيفي لاهثة وأجابت قائلة: «أجل».

- لو كنت مكانك لما قطعت الأمل. قلت لك إنني سأتصل بك.

- نعم لكني ظننت أنك منهمك بأعمالك.

- فسئمت الانتظار.

تململت إيفي على سريرها وأجابته: «حسناً، لم أكن واثقة مما إذا كنت تمازحني».

ساد الصمت بينهما لبرهة من الزمن ثم قال: «ما زلنا في بداية علاقتنا. وعلينا أن نتعرف إلى بضعنا عن كثب».

لم تفهم إيفي ما قصده بكلامه فأحكمت قبضتها على الهاتف وقالت: «دعتني ميري لأمضي عطلة نهاية الأسبوع برفقتها».

- ماذا قلت لها؟

- قلت لها إنني سأفكر في الأمر.

عاد الصمت ليخيم من جديد قبل أن تتابع كلامها: «لم أكن واثقة من ردّ فعلك».

ازداد الصمت عمقاً فأحسّت بغصة في صدرها. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «ستيوارت؟».

- لا تعرفين شيئاً عني.

- طبعاً لا.. كنت تبذل ما في وسعك طوال السنتين الماضيتين لتتجنّب رؤيتي.

أجابها بحدة: «كنت مرغماً على ذلك».

لم تفهم مغزى كلامه. ولم تحاول أن تطرح عليه أي سؤال لشدة خجلها، ما زاد الأمور تعقيداً.

قالت له بنبرة حزينة: «علي أن أقفل الخط».

- هل هايس هو السبب؟؟

- ماذا؟

- هل أنت مغرمة بهايس كارسون؟

- طبعاً لا.

سمعته يتنفس الصعداء قبل أن يقول: «هذا من حسن حظي».

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم أردف: «عندما أعود إلى البلدة، يمكننا أن نتحدث مطولاً».

- حسناً.

وماتت الكلمات على شفتيها. كانت تعشق صوته العميق الخافت، ولم تشأ أن تقفل الخط لكنها لم تجد ما تقوله لتحثه على مواصلة الكلام.

- ماذا تفعلين؟

- أنا في سريري، مرتدية ملابس النوم، أتحدث مع رجل مجنون.

انفجر ستيوارت ضاحكاً وسألها: «هل أبدو مجنوناً في نظرك؟».

- أشعر وكأنّ علي الاعتذار لكني لا أجد سبباً لذلك.

- كان يومي طويلاً وحافلاً. غالباً ما يشارك في هذه المؤتمرات

www.rewity.com Breathless

شخص من مناصري البيئة، وقد وصلت به الجرأة هذه المرة حد المطالبة بتعلّم كيفية التواصل معها.

لم تتمكّن إيفي من منع نفسها من الضحك وهي تقول: «لو كانت قادرة على الكلام، لصرخت لا تأكلوني».

- كفي عن ذلك. تعلمين أنني لا أقوم بتربية الماشية من أجل لحومها.

كان ستيوارت صادقاً في كلامه فهو يعرف أسماء ثيرانه كلها ونسبها ويحرص على ترويضها كما لو أنها كلاب أليفة.

قالت له بلطف: «أعلم هذا. ماذا قلت لذلك الشاب؟».

- لم أقل له شيئاً.

خيل إليها أنه سمعت تغيراً في نبرة صوته، فسألته: «هل تولى الأمر أحد سواك؟».

- طلب منه أحد مندوبي الجمعية الوطنية مرافقته إلى الخارج فخيل إليه أنه يرغب في تبادل الحديث معه، غير أن المندوب رماه في نافورة المياه.

- علمت أن البرد شديد في كولورادو.. والثلج يتساقط بغزارة.

- هذا صحيح.

- كم أنتم مقيتون!

وتردد ستيوارت قليلاً ثم قال: «علي أن أنهي الاتصال فأحدهم يقرع الباب».

سألته في محاولة منها لإغاظته: «أهو أحد أفراد الجمعيات المؤيدة للبيئة؟».

ضحك ستيوارت من جديد وأجابها: «كلا، إنه صديق لي من ألاسكا سأتصل بك عند عودتي. اعتني بنفسك».

أجابته بنبرة رقيقة: «وأنت أيضاً».

- عمت مساءً يا حلوتي.

وأقفل الخط قبل أن يتسنى لها أن تتأكد مما سمعته. لم يستعمل ستيوارت يوماً اسماً محبباً لمناداتها ما جعلها واثقة من أن علاقتهما ستتوطد مع مرور الأيام. وبعد أن جافاها النوم لساعات طويلة، تمكّنت إيفي أخيراً من الاستسلام للنوم لتجد نفسها تسبح في أحلام سارة إنما مستحيلة.

ومع انبثاق فجر اليوم التالي، انقلب عالم إيفي رأساً على عقب. عندما أجابت على هاتفها، ظنت أنه ستيوارت لكن صوتاً غريباً فاجأها قائلاً: «آنسة كونلي؟».

- نعم.

- حصلت على رقم هاتفك من مدير الشرطة. أنا الرقيب إيد آمز من مركز الشرطة في نيويورك. الأمر يتعلق بأختك..

أحست بانقباض في صدرها وسألته على الفور: «هل هي بخير؟ هل تم توقيفها؟».

خيّم الصمت المشحون بالقلق قبل أن يقول: «يؤسفني أن أبلغك أنه تم العثور عليها ميتة في شقتها.. آنسة كونلي؟ آنسة كونلي؟؟».

شعرت إيفي بضيق في التنفس؛ صحيح أنها كانت تعي في قرارة نفسها أن هذا اليوم آتٍ لا محالة، لكنها لم تكن مستعدة لمواجهته بعد..

- نعم، ما زلت هنا. آسفة، لكنها صدمة قوية...

- يمكنني أن أتصور ذلك...

- قلت لي إنكم عثرتم عليها ميتة.. هل أقدمت على الانتحار؟ أم أنها تعرضت للقتل..

- لسنا واثقين بعد. أخشى أنّ علينا أن نشرّح الجثة قبل أن نحسم المسألة. نريد منك أن تتعرفي على الجثة. بعدئذ، يمكن اتخاذ

www.rewity.com Breathless

الإجراءات اللازمة لدفنها واستلام أغراضها الشخصية.

- نعم، بالطبع. علي أن أتوجه إلى نيويورك لأهتم بالأمر.

وترددت قليلاً وقد تشوّشت أفكارها ثم أضافت: «سأبذل قصارى جهدي لأصل اليوم».

ودونت رقم هاتفه وكافة التفاصيل اللازمة للاتصال به وودعته ثم أقفلت الخط.

جلست إيفي على سريرها محبطة... ماتت راشيل.. ماتت راشيل قبل أن يتسنى لها أن تودعها.. وعليها الآن أن تهتم بإجراءات دفنها.. والأسوأ من هذا كله هو أنها لم تكن تعلم ما إذا أقدمت أختها على الانتحار أم تعرّضت للقتل.

فكرت إيفي في جيري، صديق أختها الذي يعمل كتاجر مخدرات.. أتراه سئم من إدمانها وقتلها بجرعة زائدة؟ أيعقل أن تكون زوجة الرجل الثري قد أرسلت أحدهم لقتلها؟؟ راح رأسها يضج بصور مريعة لا تحصى ولا تعد..

وتنبهت فجأة إلى أنها أصبحت وحيدة. كانت راشيل آخر فرد من أفراد عائلتها. وتذكّرت والدها الذي أحب أختها حباً جماً بينما كره إيفي كل الكره لظنه أنها ليست من صلبه. أيعقل أن تكون راشيل قد كذبت بهذا الشأن كما كذبت في أمور أخرى كثيرة؟

لعل راشيل تركت رسالة قصيرة تشرح فيها سبب كرهها لها، وإذا قصدت نيويورك قد تتمكن من العثور عليها.. إنها فرصتها الأخيرة لتتمكّن من فهم ما كان يدور في رأس تلك المرأة..

وسارعت إيفي إلى توضيب حقيبتها..

٧ - موت صاعق

لحسن الحظ أن النقود التي ادخرتها إيفي كافية لتدفع ثمن تذكرة السفر ذهاباً وإياباً إلى نيويورك. لكن ماذا عن نفقات إقامتها في تلك المدينة؟ عليها أن تجد مكاناً ملائماً تنزل فيه، بعيداً عن شقة راشيل حيث يقيم صديقها تاجر المخدرات. وماذا عن نفقات إعادة جثمان راشيل إلى مسقط رأسها؟ شعرت إيفي وكأنها في كابوس فظيع. ليت ستيوارت في البلدة لتطلب منه المساعدة. لكن علاقتهما لا تزال في بدايتها ولا يمكنها أن تطلب منه خدمة بهذه الحجم.

أرادت الاتصال بميري غير أن كبرياءها منعتها من أن تطلب إحساناً من أحد. كلا، عليها أن تواجه الأمر بشجاعة وتفعل ما هو مطلوب منها. لم تعد تلك الفتاة الصغيرة الخجولة. إنها اليوم امرأة ناضجة.

كانت تلك المرة الأولى التي تسافر فيها إيفي بالطائرة فشعرت بالإثارة وهي تنتقل من منطقة التفتيش إلى منطقة الإقلاع. جلست في الدرجة السياحية قرب زوجين مسنين أظهرا لها الكثير من الود، ووجدا في حماسها للسفر جواً مصدراً للتسلية.

عند وصولها إلى مطار لاغارديا، استقلت سيارة أجرة إلى فندق في بروكلين أعطتها ليتا عنوانه ويقع على مسافة قريبة من شقة راشيل. كانت تحمل أيضاً رقم هاتف رجل الشرطة الذي اتصل بها لينقل إليها خبر وفاة أختها.

www.rewity.com Breathless

حجزت غرفة في الفندق وحملت حقيبتها وصعدت إلى الطابق العلوي. كانت الغرفة ضيقة لكنها نظيفة ومرتبة وتطل على منظر رائع لأفق المدينة. تساءلت في سرها عما إذا كانت قادرة على تحمل البقاء وحيدة فيها، خاصة بعد أن تقصد المشرحة للتعرف على جثة أختها، فالمحن هي من أكثر الأمور التي توقع الرهبة في نفسها.

لم تجد الرقيب أميس في مكتبه عند وصولها فجلست تنتظره في قاعة الانتظار. ولم تكد تمضي بضع دقائق حتى دنا منها رجل وسيم، طويل القامة، داكن الشعر، يرتدي بذلة الشرطة.

سألها مبتسماً: «آنسة كونلي؟».

هبت إيفي واقفة وأجابته:

- نعم. هل أنت الرقيب إيمس؟.

مد يده مصافحاً وقال: «أجل، آسف على التأخير».

وقادها إلى مكتبه ودعاها للجلوس.

- كان علي أن أدلي بشهادتي في جريمة قتل. انتهت المحاكمة منذ قليل.

- هل من معلومات جديدة عن وفاة أختي؟

أجابها باقتضاب: «جلّ ما عرفته هو أن سجل صديقها الجرمي حافل، وزبائنه من الطبقة الراقية في المدينة. يبدو أن أختك تورطت مع أحدهم لكن زوجة المعني لم تكن راضية عن هذه العلاقة ما دفعها إلى تهديد أختك بالقتل مرات عدة. في ما يتعلق بصديقها، قالت إحدى الجارات للمحققين إنهما كانا يتشاجران باستمرار. وخلال الشجار الأخير الذي وقع بينهما، طلب منها ألا تتدخل في شؤون زبائنه فهددته بأن تبلغ الشرطة عنه وتتهمه بالاتجار بالمخدرات».

شبك يديه على المكتب حيث تراكمت الأوراق وأردف: «إذا تم التأكد من وقوع جريمة قتل، فسيكون لدينا عدد كبير من المشتبه بهم».

ثم قطب جبينه وسألها: «هل أتى معك أحد؟ فرد من العائلة؟ أو صديق؟؟».

هزت إيفي رأسها بالنفي.

- لا أقارب لي إلا راشيل.

تذكّرت في تلك اللحظة ستيوارت، لكن تبادل العناق لا يعني أن علاقة جدية تربطهما. وأضافت على مضض: «ليس لدي صديق. ولم أجد من أطلب منه مرافقتي».

سألها على الفور: «لا أظنك تفكرين في الإقامة في شقة أختك؟».

- كلا. لا أحتمل البقاء في تلك الشقة. حجزت غرفة في فندق صغير.

- هل سبق لك أن واجهت حادثة وفاة في العائلة؟

- توفي والدي منذ سنتين لكن راشيل أخذت على عاتقها مسؤولية الاهتمام بكافة الإجراءات، فيما توليت أنا تسديد الفواتير. لا أملك أدنى فكرة عما يفترض بي أن أفعله.

قال لها بنبرة رقيقة: «سأساعدك على إنجاز كافة المعاملات. ماذا يمكنك إخباري عن حياة أختك الخاصة؟».

- لا أظن أنّ بإمكاني أن أضيف على ما قلته منذ قليل. كانت تكبرني سناً، ولا تربطنا علاقة جيدة. نادراً ما كانت تتصل بي، إلا إذا احتاجت إلى شيء ما.

تأملها بهدوء وسألها: «ألم تكونا مقرّبتين؟».

هزت إيفي رأسها: «لم تشأ راشيل العيش في بلدة صغيرة. أرادت أن تصبح ممثلة في برودواي».

أحست بضيق في صدرها لكنها تابعت تقول: «كنت أعلم أنها تتعاطى المخدرات منذ زمن بعيد، منذ كانت طالبة في المدرسة الثانوية. لكني لم أتصوّر يوماً أنها قد تموت في سن صغيرة».

www.rewity.com Breathless

وانهمرت الدموع غزيرة على خديها وهي تضيف: «كان موتها مفاجئاً».

- هل تسمحين لي بأن أقترح عليك شيئاً؟

مسحت دموعها وأجابته: «بالتأكيد».

- قلت إنك حجزت غرفة في فندق.

- أجل.

- عودي إلى الفندق وارتاحي لبضع ساعات. وعندما تصبحين جاهزة، اتصلي بي لأصحبك إلى المشرحة لتتعرفي إليها. ما رأيك؟.

أرادت أن تعترض لكنه بدا لها شاباً طيب الخلق، فابتسمت له وقالت: «إنه اقتراح جيد. شكراً لك».

- سأطلب من أحد رجالي أن يوصلك إلى الفندق.

فتساءلت إيفي في سرها ما إذا أدرك أن إمكانياتها المادية محدودة.

لم يكن وقت الغداء قد حان بعد فاستلقت على أغطية السرير وأغمضت عينيها. محنتها لا تزال في بدايتها، لكن الرقيب محق فبضع ساعات من النوم ستساعدها على مواجهة المشرحة.

لا بد أنها استسلمت للنوم لأن الطرق المتواصل على باب غرفتها أعادها إلى أرض الواقع. قفزت من سريرها، ومسحت عينيها وتوجهت نحو الباب. وعندما نظرت من ثقب الباب، شهقت مذهولة.

فتحت الباب بسرعة وارتمت في أحضان ستيوارت مطلقة العنان لدموعها، وقد شعرت بفرح لا يوصف لوصوله.

قادها إلى داخل الغرفة قائلاً لها برقة: «لا عليك يا صغيرتي».

وأقفل الباب وراءه، وحملها بين ذراعيه ثم أجلسها على السرير وجلس قربها.

- أعلم أن الأمر صعب عليك فهي أختك على الرغم من كل ما فعلته بك.

- كيف عرفت بالأمر؟

- سائق سيارة الأجرة الذي أوصلك إلى المطار قريب السيدة رودس وقد اتصل بها لإبلاغها بما حصل، فاتصلت هي بدورها بي.

شدها إليه بقوة وسألها: «لمَ لم تتصلي بي؟ كان بإمكاني الحضور على الفور».

لم تكن تتحلى بهذا القدر من الثقة في النفس لاسيما في المسائل المرتبطة به. لكن لحسن الحظ أنه الآن بقربها ولم تعد وحيدة.

أراحت رأسها على صدره وقد غمرتها موجة من الارتياح.

- علي أن أتصل بالرقيب أميس ليصحبني للتعرّف.. على الجثة.

- يمكنني أن أهتم بالأمر إن شئت.

نظرت في عينيه الزرقاوين الشاحبتين وقالت له: «سيكون وقع الصدمة أقل حدة، إذا رافقتني».

ابتسم لها قائلاً: «بكل سرور».

وتلاشت الابتسامة عن شفتيه وهو يسألها: «كيف ماتت؟».

- لا أدري. قال لي الرقيب إنهم سيطلبون تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة.

وأسندت خدها إلى صدره العريض وأضافت: «عليهم أن يفتشوا شقتها وينقلوا أغراضها. بعدئذ، يمكنني أن أقرر ما إذا كنت أرغب في إحراق الجثة أو إعادتها إلى جاكوبزفيل».

قال لها ببرودة: «لا أظن أن راشيل قد تأبه لما تفعلينه بها».

أجابته بنبرة مفعمة بالحزن: «أفضّل إحراق جثتها».

لم تشأ أن تقول له إن تكاليف نقل الجثمان إلى جاكوبزفيل تفوق قدرتها المالية. كانت واثقة من أن راشيل لم تفكر في التأمين على حياتها. وإذا ما فعلت، فلا بد أن جيري أقنعها بأن تجعله المستفيد الأول. لكن في مطلق الأحوال، ينبغي أن تدفع إيفي تكاليف الجنازة.

www.rewity.com Breathless

- حسناً، سنرى ما سنفعله بهذا الشأن. دعينا نذهب أولاً إلى المشرحة، بعدئذ يمكننا أن نبحث عن دار لدفن الموتى. وبعد الانتهاء من هذا كله، سنقصد شقتها لنهتم بأغراضها الشخصية.

- أنت تجعل الأمور تبدو في غاية البساطة.

- جلّ ما نحتاج إليه هو القليل من التنظيم.

ارتمت في أحضانه والدموع تترقرق من عينيها.

- آسفة، لكني فقدت القدرة على التركيز عندما رأيتك. كان علي أن أهتم بهذه الأمور كلها لوحدي.

أخرج منديلاً أبيض اللون وناولها إياه قائلاً: «جففي دموعك لنتصل بالرقيب ونبدأ المعاملات، اتفقنا؟».

- اتفقنا.

حاول ستيوارت منعها من النظر إلى جثة راشيل لكنها أصرت على إلقاء نظرة أخيرة على أختها.

كان المشهد مريعاً إذ بدا وجه راشيل نحيلاً، رمادي اللون، خالياً من أي تعبير. لم يكن لديها أدنى شك في أنها راشيل، على الرغم من شكلها المخيف.

رافقها ستيوارت والرقيب إيمس إلى مكتب هذا الأخير حيث جلسوا يحتسون القهوة ريثما تستعيد إيفي قواها وقدرتها على الكلام.

قال لهما إيمس: «سنقوم بتشريح الجثة لكن الطبيب الشرعي أكد أنها توفيت من جرعة زائدة من الكوكايين».

سألته إيفي وهي تمسح عينيها المغرورقتين بالدموع: «ألهذا السبب يبدو مظهرها مخيفاً؟ أقصد القول إن وجهها يبدو وكأنه مغطى بالبثور».

- إنها مادة الميتاأمفيتامين التي كانت تتعاطاها. إنها من أسوأ المواد المخدرة التي نواجهها حالياً فهي تجعل شكل المدمن مزرياً في غضون أشهر قليلة. منذ متى تتعاطى راشيل المخدرات؟

أجابت إيفي: «منذ التحاقها بالمدرسة الثانوية... أخبرت والدي لكنه لم يصدقني. قال لي إن راشيل لا يمكن أن تتعاطى المخدرات».

وضحكت ضحكة خافتة ثم أردفت: «كانت تعود إلى المنزل وهي منتشية كلياً، لكن والدي لم يلاحظ ذلك».

قاطعها ستيوارت قائلاً: «كان والدها مدمناً. ولا أظن أنه كان يلاحظ أي شيء على الإطلاق».

تنهدت إيفي وقالت: «لم أتخيّل أن تكون نهايتها فظيعة بهذا الشكل».

ولم يستطع ستيوارت أن يخفي فضوله فسأل الرقيب: «ماذا عن صديقها؟».

هز إيميس كتفيه بلامبالاة وأجاب: «نجحنا في توجيه تهمتين إليه لكنه سيخرج من السجن قريباً جداً ويعود إلى ممارسة ألاعيبه القديمة إذ يبدو أن زبائنه من الشخصيات البارزة في المدينة».

وسألته إيفي: «متى سيتم تشريح الجثة؟».

- هذا المساء على الأرجح. لحسن الحظ أن الأعمال ليست متراكمة في هذه الفترة. وما إن تتضح لنا أسباب الوفاة حتى تنطلق التحقيقات من المكان الصحيح.

- ماذا عن شقتها؟ هل نستطيع الذهاب إليها؟

- أجل.

وفتح درج المكتب وأخرج منه مفتاحاً.

- هذه نسخة عن مفتاح شقتها. خطر لي أنك قد ترغبين في زيارتها فطلبت أن يصنعوا لي نسخة عنه. أريد أن الفت انتباهك إلى أننا قمنا بتفتيش الشقة.

- أريد تنظيفها وتوضيب التذكارات العائلية التي ربما احتفظت بها.

سألها التحري: «ما مدى معرفتك بجيري سميث؟».

www.rewity.com Breathless

- قابلته بضع مرات لكنه لم يعجبني. جاء برفقة راشيل يوم وفاة والدي. كنت يومها أعاني من إحدى نوبات الصداع التي تصيبني بين الحين والآخر فاستبدل دوائي بمخدر قوي المفعول لكنني أدركت ما فعله، ورفضت أن أتناول الحبوب التي أعطاني إياها.

استعرت نيران الغضب في عيني ستيوارت وهو يقول لها: «لمَ أخفيت الأمر عني؟».

- كنت واثقة من رد فعلك عندما تعلم بالأمر. بدا لي هذا الرجل خطيراً جداً وله علاقات مع أشخاص نافذين.

أجابها ستيوارت بفظاظة: «ولي معارفي أيضاً. كان عليك أن تخبريني».

- لا يمكنني أن أصف لك مدى الارتياح الذي شعرت به عندما عادت راشيل وجيري إلى نيويورك.

قال لها الرقيب: «لا يفاجئني هذا. أحتفظ بأغراض أختك في غرفة الأمانات. تعالي معي لاستلامها والتوقيع على إيصال الاستلام».

نهضت من مكانها وقد أحست بنفسها وكأنها مخدّرة.

- أشكرك على تعاونك معنا.

- إنه واجبي آنستي.

كان ستيوارت قد استأجر ليموزين لتقلهما، فوجدت إيفي ذلك مذهلاً. وتمنّت في سرها لو أن مشاعرها لم تكن شفافة إلى هذا الحد إذ راق له افتتانها الشديد بتلك السيارة الفخمة.

طلب من السائق أن ينتظرهما في السيارة أمام المبنى حيث شقة راشيل ثم رافق إيفي إلى الطابق الثاني. لم يتغير أي شيء في الشقة منذ رحيل راشيل، باستثناء الخطوط البيضاء المرسومة على أرضية الشقة والتي تُظهر مكان الجثة.

تفاجأت إيفي لدى رؤيتها الدليل القاطع على وفاة أختها فتسمرت

مكانها لبعض الوقت ريثما يتسنى لها أن تسيطر على انفعالها.

- لا أعرف من أين أبدأ.

- ما رأيك لو تدخلين إلى غرفة النوم بينما أبحث في الأدراج في غرفة الجلوس؟

- حسناً.

دخلت إيفي غرفة راشيل، وراحت عيناها تتنقلان من غطاء السرير الزهري المزري إلى الأحذية القديمة المبعثرة والستائر البالية. كانت راشيل تخبر الكل في بلدتها أنها تشارك في أدوار رئيسية في المسرحيات التي تعرض في برودواي وتجني الكثير من المال، وتمكّنت من إقناع الجميع بذلك بمن فيهم إيفي. لكنها أدركت الآن أن إصرارها على وضع يدها على أموال والدهما نابع من حاجتها الملحة إليها.

فتحت إيفي درج الطاولة المجاورة للسرير واختلست النظر إلى داخله فوجدت كتاباً ذا غلاف مزخرف: إنه دفتر يومياتها. دسته على عجل في جيب سترتها وانتقلت إلى المنضدة.

لم تجد شيئاً في المنضدة باستثناء بعض الملابس الداخلية القديمة المصنوعة من الحرير إلا أنها وقفت مذهولة أمام الخزانة التي احتوت على عشرة فساتين مميزة مخصصة للسهرة فضلاً عن معطفين من الفرو الحقيقي. ورأت أيضاً في أرض الخزانة أحذية ذات كعوب عالية.

فتحت علبة المجوهرات الموضوعة على المنضدة وشهقت بصوت مسموع. كانت العلبة تحوي خواتماً من الزمرد والياقوت والماس فضلاً عن قلادات وأقراط. وتساءلت إيفي في سرها عما فعلته أختها للحصول على هذا كله.

دخل ستيوارت عابساً ويداه في جيبي سرواله.

- تملك جهاز تلفزيون مع شاشة بلاسما، ومشغل أقراص فضلاً عن قطع أثاث قديمة الطراز وقيّمة للغاية. كيف تمكّنت من أن تحصل على

www.rewity.com Breathless

هذا كله مع أنها لا تملك النقود؟

- إنه سؤال وجيه. أنظر.

نظر ستيوارت إلى علبة المجوهرات، ثم مد يده والتقط خاتماً منها قبل أن يقول: «ذهب من عيار ١٨ قيراط. والحجارة أصلية أيضاً».

سألته إيفي بنبرة قلقة: «أتظن أنها سرقتها؟».

- لا أظن ذلك. يبدو لي أنها ملكها فهذه المجوهرات تساوي مئات الآلاف من الدولارات.

شهقت إيفي بصوت مسموع قائلة: «ظننت أنها مجوهرات مزيفة».

رفع ذقنها لتلتقي نظراتهما.

- يبدو لي أنك لا تعرفين شيئاً عن الرفاهية، أليس كذلك يا حبيبتي؟

ثم مال نحوها وطبع قبلة سريعة على جبينها مضيفاً: «يعجبني هذا فيك».

- من أين حصلت على هذا كله؟

- لا بد أن الرجل الثري الذي كانت على علاقة به أهداها إياها.

- ستطالب زوجته باسترجاعها.

أومأ ستيوارت برأسه قائلاً: «إذا علمت بأمرها».

ثم قطب جبينه وأردف: «لا أدري لما تركها الرقيب إيميس هنا ولم يضعها في الأمانات».

- لعله ظن أنها مزيفة أيضاً.

أطلق ستيوارت ضحكة خافتة قبل أن يقول: «كلا، فهذا الشاب يجيد عمله. أظن أنه وضع كاميرا مراقبة في الشقة ليتأكد ما إذا كان أحدهم سيعود لأخذ المجوهرات».

- ليست فكرة سيئة.

أقفل علبة المجوهرات وأجابها: «كلا، ليست كذلك».

ونظر إلى ساعته وأضاف: «حان موعد الغداء. يمكننا أن نعود إلى

فندقي ونطلب من خدمة الغرف أن ترسل لنا ما نأكله».

- لكنني حجزت في فندق آخر.

- سنلغي الحجز ونحضر حقيبتك. لن أسمح لك بأنك تغيبي عن نظري لاسيما وأننا لا نعرف بعد سبب وفاة أختك.

أرادت أن تجادله لكنه رفع يده قائلاً: «لا داعي للجدال. نفذي ما أطلبه منك وحسب».

- كم أنت استبدادي!

أجابها وقد ظهر وميض غريب في عينيه الشاحبتين: «بعد سنوات طويلة من العمل مع الماشية، فقدت حس اللياقة الاجتماعية».

ضحكت إيفي ضحكة من القلب ولم تجد أي مانع في أن يتولى زمام الأمور لأنها كانت في حالة من الإرهاق الشديد. أخذ علبة المجوهرات ووضعها بين يديها قائلاً: «سيدّعي صديقها أنها له لكنه لن يحصل عليها بهذه السهولة. سنودعها في الوقت الحالي في خزنتي في المصرف».

- إنها فكرة جيدة. لعله ليس القاتل لكنه ساهم في وصول أختي إلى هذه الحالة. ولا أريده أن يستفيد من موتها.

في طريقهما إلى الفندق، توقّف ستيوارت عند أحد المصارف حيث يملك حساباً وطلب الدخول إلى الخزنة الخاصة به. وضعا علبة المجوهرات فيها ثم طلب التحدث إلى أحد المدراء الذي خرج من مكتبه مبتسماً لاستقبالهما. سأله ستيوارت عن دور دفن الموتى في المدينة فأعطاه رقم الأكثر شهرة بينها.

عند عودتهما إلى السيارة، طلب ستيوارت الرقم وتحدّث إلى أحد المسؤولين في الدار، وحدد موعداً لهما بعد الظهر ليتمكّنا من الاطلاع على كافة التفاصيل. بعدئذ، توجها إلى فندق إيفي لإحضار حقيبتها. وعلى الرغم من احتجاجها، أصر ستيوارت على تسديد الحساب.

- يمكننا مناقشة المسألة عند عودتنا إلى ديارنا.

www.rewity.com Breathless

عند وصولهما إلى الفندق، تبيّن لها أنّ ستيوارت حجز الجناح القائم في الطابق العلوي والمخصص للرؤوساء والملوك. وفور وصولهما، سارع إلى الاتصال بخدمة الغرف ليطلب طعاماً لهما.

ولم تكد إيفي تنهي حساء البطاطا حتى سمعته يقول لها: «كان عليك أن تطلبي طبقاً آخر».

- لم يكن بإمكاني تناول أي شيء آخر.

وضعت ملعقتها جانباً وأضافت: «أعترف بأنه أسوأ يوم في حياتي. أشعر وكأنني في حلم».

- كان شعوري مماثلاً يوم وفاة والدي.

وضع ستيوارت شوكته جانباً وصب القهوة لهما قبل أن يضيف: «كنت واثقاً من كرهي له إذ أمضى حياته كلها وهو يحاول أن يرغمني على احتراف ما عجز عن احترافه. لكن عند وفاته، انهارت أعصابي كلياً لأن المرء لا يقدّر أهمية والديه في حياته إلا بعد رحيلهما».

وافقته الرأي قائلة: «معك حق، فلا أحد يشاطرك ذكرياتك مثل ذويك. كان والدي يسيء معاملتي ولطالما فضّل راشيل علي من دون أن يحاول إخفاء ذلك».

وتنهدت إيفي ثم تابعت: «لعله من الجيد أن أعرف أنه كان يشك في أبوّته لي فهذا الأمر يخفف علي وطأة الماضي. ليتني أستطيع التأكد من الأمر».

- ستتأكد من الأمر. أقسم لك.

- لا بد أنك تفوت عليك العديد من الصفقات لتكون معي هنا.

أنهى ستيوارت قهوته ووضع منديله على الطاولة ثم نظر في عينيها وقال بصوت هادئ: «ما كنت لأتركك وحدك في هذه المحنة».

ربما بدت كلماته عادية، إلا أنّ عينيه قالتا كلاماً جعلت قلبها يقفز من مكانه فرحاً، وخديها يتوهجان خجلاً.

رماها بابتسامة خبيثة وأضاف بصوت أجش: «ليس الآن... ثمة الكثير من الأعمال في انتظارنا. علينا أن نؤجل اللهو إلى وقت آخر».

غزت موجة قرمزية وجهها، وكادت توقع فنجان القهوة أرضاً وهي تنهض من مكانها.

انفجر ستيوارت ضحكاً إذ كانت إيفي أكثر شفافية من الزجاج. لم يخطئ أبداً حين قرر الحضور إلى نيويورك.

جلسا في مكتب المدير المسؤول عن دار دفن الموتى بغية مراجعة التفاصيل النهائية الخاصة بمراسم جنازة راشيل. كانت إيفي مصممة على إحراق الجثة فهذه العملية ليست مكلفة، ولن تواجه أي مشكلة مع الأجهزة الأمنية إذا ما نقلت جرة الرماد في طائرة ستيوارت الخاصة التي ستقلهما إلى ديارهما.

اختارت جرة نحاسية مزخرفة باللونين الذهبي والأسود وقالت لستيوارت: «سأطلب من المسؤول عن دار دفن الموتى المحلي دفنها قرب والدي».

علق مدير الدار:

- يحتفظ البعض بالرماد في منازلهم.

- لا، لا يمكنني العيش في المنزل إذا كان رماد راشيل فيه. لم أكن على وفاق مع أختي.

عندما غادرا الدار وصعدا في سيارة الليموزين، لم يتمكّن ستيوارت من أن يمنع نفسه من التعبير عن امتعاضه لأنها أصرّت على دفع التكاليف بنفسها.

- أدخرت مبلغاً من المال لتعيلي نفسك، وتكاليف جنازة راشيل تافهة بالنسبة إلي.

- أعلم هذا، لكن عليك أن تقدّر شعوري فراشيل أختي ومن واجبي أن أتحمّل تكاليف جنازتها.

www.rewity.com Breathless

أمسك بيدها وشد عليها قائلاً: «لطالما كنت تحبين الاستقلالية أيتها المشاكسة».

ابتسمت له ابتسامة رقيقة وقالت: «أحب أن أشعر بأنني قادرة على الوقوف على رجليّ وإعالة نفسي. عندما كانت راشيل على قيد الحياة، عجزت عن عيش حياتي كما يطيب لي لأنها استغلّت كافة الفرص لتتحكم بي، تماماً كما كان يفعل أبي».

- هل يحمل كلامك معنى مزدوجاً؟

- كلا، حسناً.. بلى.. أنت تحاول أن تتحكم بي أيضاً.

وحدقت فيه وأضافت: «ولا أعرف السبب. كنت تخرج مع فتاة رائعة الجمال. رأيت صورتكما في إحدى المجلات منذ أسبوعين تقريباً».

وسرعان ما احمرت خجلاً وقد أدركت أن كلامها نابع من غيرتها.

إلا أنه اكتفى بالابتسام وقال: «التقطت هذه الصورة منذ أربع سنوات... ولا أعرف من أين أتوا بها الآن».

- عفواً؟

- التقطت الصورة منذ سنوات طويلة.. انظري..

وأشار إلى دبوس ربطة العنق الذي أهدته إياه منذ ثلاث سنوات بمناسبة عيد ميلاده.

- حرصت على ارتدائه مع كافة البذلات. انظري إلى الصورة جيداً وقولي لي إذا ما كنت ترينه فيها.

في الواقع، لم تره في الصورة. ولم تقوَ على كبح ذهولها عند إدراكها مدى تعلقه بهذه الهدية البسيطة، وحرصه على الاحتفاظ بها. وسألته وهي مشوشة الذهن: «هل يروق لك إلى هذا الحد؟».

وبدلاً من أن يجيبها مباشرة، مد يده وأمسك القلادة الذهبية التي أهداها إياها في عيد الميلاد منذ ثلاث سنوات، ثم قال لها بصوت

خافت: «أنت لا تنزعينها أبداً. لاحظتها في كافة الصور التي التقطتها لك أختي».

- إنها جميلة جداً.

- أنت محقة لكنك لا تحتفظين بها لأنها جميلة فقط، تماماً كما لا أضع أنا الدبوس بسبب الموضة.

كان يلمح إلى أمر في غاية الحميمية فنظرت إلى عينيه الشاحبتين وقد أحست بغصة في حلقها.

قال لها بصوت رقيق: «احتفظ كل واحد منا بسره طويلا جداً. لكن وقت إعلانه أمام الملء قد حان».

بحثت في عينيه الشاحبتين عن شعلة إحساس تضاهي إحساسها. في المدرسة الثانوية، كانت تشعر بضيق في التنفس كلما تواجدت في الغرفة نفسها معه. ولم تدرك يومها أن الأحاسيس التي تتملّكها هي فتيل رغبة متأججة.

ابتسم لها برقة فائقة فأحست بنفسها تطير في الفضاء الرحب. لم تعد تخشى أن تكون مجرد نزوة عابرة في حياته إذ لا يمكن للرجل أن ينظر إلى المرأة بهذه الطريقة إلا إذا كان يهتم لأمرها وإن قليلاً.

www.rewity.com Breathless

٨ - عودة الأمان

أحست إيفي وكأن الأرض انشقت تحت قدميها وهي تحدق في عيني ستيوارت الشاحبتين. دنت منه علها تنهل من نبع حنانه، لكن السيارة اختارت هذه اللحظة بالذات لتتمايل ما أرغمه على اعادة التركيز على القيادة.

رفع ستيوارت حاجبه وقال لها هامساً: «أنت في أمان.. ولكن لا تبالغي في الاسترخاء».

اكتفت إيفي بالابتسام فعيناه تعدانها برحلة إلى الجنة. كيف تمكّن من معاداتها طوال السنين الماضية؟ فهذا الرجل الوسيم المثير الجالس قربها تحوّل إلى شخص لا تعرفه أبداً، شخص زرع في قلبها توقاً إلى المستقبل الواعد. لكن سرعان ما عادت وتذكّرت سبب وجودها في نيويورك، فآثرت أن تدع أحلامها تنتظر قليلاً.

عادا إلى شقة راشيل لتوضيب الأغراض فاستغل ستيوارت فرصة انشغال إيفي بإفراغ الأدراج ليتحدّث إلى المسؤول عن المبنى.

عثرت إيفي على البوم للصور فجلست على الأريكة وفتحته. ضم الألبوم صوراً لراشيل ولوالدهما وبعض الصور لوالدتهما لكنها لم تعثر على صورة واحدة لها، ما أثار غيظها.

وضعت الألبوم جانباً والتقطت رسالة موجهة إلى راشيل ومدوّن عليها "خاص جداً».

أحست إيفي بتأنيب الضمير وهي تفتحها لكنها لم تجد بداً من الاطلاع على فحواها خاصة بعد أن قرأت العنوان المدون عليها، وهو يعود لمكتب محاماة في تكساس.

ما أن فتحت إيفي الرسالة حتى تناهى إلى مسمعها وقع خطوات لا يشبه خطوات ستيوارت فوقفت ودست الرسالة في جيب سترتها بينما كان القادم يفتح الباب.

وفجأة، دخل جيري سميث إلى الشقة وكأنه مالكها وعلت إمارات الغضب والغيظ وجهه ورماها بنظرات مثقلة بالكره.

سألته إيفي ببرودة أعصاب: «ما الذي تفعله هنا؟».

أقفل الباب خلفه وابتسم لها ابتسامة تنم عن الاحتقار.

- حسناً، يبدو أن الأخت الصغرى جاءت تبحث عن الكنز المدفون. لا يا عزيزتي، أنت مخطئة فمحتويات هذه الشقة لي وقد دفعت ثمنها من مالي الخاص.

ثم أضاف متهكماً: «لا يفترض بك أن تسرقي ما ليس لك».

لسنة خلت، كان هذا الكلام ليثير حفيظتها لكن الوقت الذي أمضته برفقة ستيوارت أزال التوتر من قلبها، لاسيما وأنها تدرك أنه على مسافة قريبة منها وسيعود بين لحظة وأخرى.

- لكن اللوحات الزيتية والصور والسجاد ملك لي. لا أظنك تريد الاحتفاظ بإرث عائلتي.

- السجاد؟؟

خرجت هذه الكلمة من فمه بقرف شديد.

- كانت راشيل تظن أنها تساوي ثروة لأنها مصنوعة يدوياً. وعندما سألت أحد تجار القطع الأثرية قال لها إنها لا تساوي شيئاً على الإطلاق. حاولت التخلص منها، لكنها فشلت فاستعملتها لتوضيب قطع الكريستال استعداداً للانتقال في الشهر المقبل.

www.rewity.com Breathless

وهز كتفيه بلامبالاة ثم أضاف: «لا أظنها ستنتقل إلى أي مكان بعد اليوم».

الارتياح التي شعرت به عندما علمت أن أختها لم تتخلص من السجاد تلاشى لدى سماعها كلامه الأخير.

- لم تذكر راشيل شيئاً عن رغبتها في الانتقال. إلى أين كانت تنوي الانتقال؟

- يبدو أنها كانت تنوي العودة إلى بلدتها الصغيرة فهي تملك منزلاً هناك.

- هذا غير صحيح.. باعت راشيل المنزل منذ سنتين.

- لا يهم. كانت ذاكرتها ضعيفة جداً. حذّرتها كثيراً من مخاطر الإدمان على مادة الميتاأمفيتامين فأنا لا أتاجر بها لأنها خطيرة جداً. لكنها أدمنت عليها ولم تتمكن من الإقلاع عنها.

سألته بنبرة جافة: «هل قتلتها؟».

أجابها متلعثماً: «لم يكن ثمة داعٍ لذلك. أمضت معظم الوقت في شبه غيبوبة، لاسيما بعد أن فشلت في الحصول على دور في مسرحية ستُعرض في برودواي بعد شهرين. زوجة عشيقها تعرف المنتج جيداً، وقد ضغطت عليه لئلا يختار راشيل ثم اتصلت بها وأخبرتها. أقسمت لها أنها ستبذل ما في وسعها لمنعها من الحصول على أي دور رئيس في حياتها ما جعلها تنهار كلياً».

- سيشرّحون جثتها.

هز كتفيه بلامبالاة وأجابها: «غالباً ما يفعلون ذلك في حالات الموت الفجائي».

وعاد يكرر كلامه: «لم أقتلها، لكنها قتلت نفسها... ولا تحاولي أن تأخذي شيئاً قبل أن أقوم بجردة على أغراضها الشخصية».

- أخذت علبة مجوهراتها ووضعتها في خزنة في المصرف.

- ماذا؟

وتقدم منها مضيفاً: «لكن هذه المجوهرات تساوي ثروة. إنها هدية من ذلك الرجل العجوز الذي كانت تتودد إليه».

- هذا يعني أنها ملك له.

أجابها موبخاً بنبرة ساخرة: «أظنك تريدين إعادتها إليه، أليس كذلك؟ يا لك من فتاة غبية! اسمعي، أعطيني نصفها واحتفظي بالنصف الآخر».

أجابته برباطة جأش: «يمكنك أن ترشي أمثالك.. لا يهمني المال.. ما يهمني هو أن أكسب رزقي بعرق جبيني».

- لو كانت راشيل مكانك، لما تخلت عن نصيبها.

- نعم، هذا صحيح، لأنها لم تحب يوماً إلا نفسها.

- حسناً، يبدو أنك لست عمياء، أليس كذلك؟

ودخل جيري إلى غرفة النوم وراح يتنقل فيها ويفتح الأدراج بينما إيفي تصلي في سرها ألا يتأخر ستيوارت في العودة.

ولم تكد تمضي لحظات حتى خرج مسرعاً وهو يصرخ: «أين هو؟».

نظرت إليه مذعورة وسألته: «ما هو؟».

- دفتر الحساب.

قطبت إيفي جبينها وعادت تسأل: «عن أي دفتر حساب تتكلم؟ لم أجد أي دفتر حساب».

علا الشحوب وجهه وقال مدمدماً: «لا بد أنه هنا».

وراح يبحث في غرفة الجلوس الفسيحة، ويخرج الأغراض من مكانها ويرميها يميناً ويساراً...

- لا بد أنه هنا.

لم تفهم إيفي سبب غضبه المفاجئ. وسألته مشيرة إلى جهاز

www.rewity.com Breathless

الكمبيوتر المحمول الموضوع على طاولة الطعام: «أتراه على جهاز الكمبيوتر؟».

- ماذا؟ جهاز الكمبيوتر؟

والتفت نحو الجهاز وراح يسحب الملفات الواحد تلو الآخر مطلقاً الشتائم.

- كلا، ليس هنا.

ثم رفع عينيه نحوها قائلاً: «لا أظنك أخذته مع علبة المجوهرات، أليس كذلك؟ هل اكتشفت مخبئي أيضاً؟».

وهرع إلى الحمام ثم عاد منه حاملاً أكياساً صغيرة فيها مسحوق أبيض.

- لحسن الحظ أنني لم أفقد إلا كيساً واحداً فقط.

كدّس الأكياس في جيوب سرواله، وحدق في إيفي قائلاً: «لا أعرف ما هي لعبتك، لكن من الأفضل لك أن تعثري على دفتر اليوميات وبسرعة، هذا إن كنت تعرفين مصلحتك».

- عن أي دفتر يوميات تتكلم؟ أختي ماتت بالله عليك! وحساباتك المنزلية لا تهمني أبداً.

عاد يحدق فيها متفرساً فسألته: «هل كان لديها بوليصة تأمين على حياتها؟ أو هل وضعت وصية خاصة بدفنها؟».

- لم تكن تتوقع أن تفاجئها المنية في مقتبل العمر. كلا، لم يكن لديها أي بوليصة تأمين...

ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وأضاف: «حذار أن تمسي بمحتويات الشقة. خذي ما تريدينه من مقتنياتها الشخصية وارحلي من هنا».

أرادت أن تجادله لكن ستيوارت يمكن أن يعود بين لحظة وأخرى، ولن يسمح لها بالعودة إلى هنا مرة أخرى قبل أن ينال جيري جزاءه. أخرجت السجاد من الخزانة، وأخذت ألبوم الصور. ولم تشأ أن تحتفظ

بأي من فساتينها أو أحذيتها.

حملت إيفي السجاد وألبومات الصور وعادت إلى غرفة الجلوس حيث وجدت جيري يقلب الأدراج بحثاً عن دفتر اليوميات الغامض.

بدت على وجهه علامات الدهشة عندما رأى ما تحمله.

- ثمة فساتين للسهرة في الخزانة، ألا يهمك أمرها؟ مقاسك مطابق لمقاس أختك.

- يمكنني أن أشتري ملابسي بنفسي.

وعاد جيري يسألها بإلحاح: «هل أرسلت لك راشيل شيئاً لتحفظيه لها في مكان آمن؟».

- لم تكن راشيل تتصل بي إلا إذا أرادت مني أن أرسل لها شيئاً ما. لم تعتد أن تأتمنني على أسرارها.

- نعم، قالت إنك كنت تسرقين أغراضها في صغرك.

احمر وجه إيفي غضباً وقالت: «لكن العكس صحيح. كانت بارعة في تلفيق الأكاذيب».

- أظن أنك كنت تغارين منها لأنها رائعة الجمال.

- لا أغار من أشخاص قلوبهم ميتة.

ضحك جيري بفتور وأجابها: «لكن الجمال يعوّض عن سوء الطباع».

وتقدم منها خطوة، ففاجأته بسرعة بديهتها وتراجعها إلى الخلف. عندئذ، ابتسم ساخراً وقال: «يمكننا أن نمضي بعض الوقت معاً. صحيح أنك لست جميلة، لكنك صاحبة شخصية قوية».

- أفضل الخروج برفقة ثعبان.

مد يده مداعباً خصلات شعرها الأشقر الطويل قائلاً: «يمكننا أن نلهو كثيراً إذا بقيت معي».

وانفتح الباب فجأة، فاكفهر وجه جيري وهو يرى ذلك الرجل

www.rewity.com Breathless

الطويل القامة ينقض عليه كالوحش الكاسر ويبعد يده عن شعر إيفي ويدفعه بعيداً وهو يقول: «إذا لمستها ثانية، فسأدق عنقك».

- لا بأس يا رجل، هدئ من روعك.

تراجع جيري إلى الوراء رافعاً يديه. وتحوّل الشاب الوقح، الواثق من نفسه الذي كان يتبجح أمامها منذ لحظات قليلة إلى فأر مرتعش. لم يكن بإمكان إيفي أن تلومه فستيوارت لا يفقد السيطرة على نفسه أبداً، لكنه لا يخاف أو يتراجع إذا ما واجهه أحد.

تنفست إيفي الصعداء وسارعت إلى الاقتراب أكثر من ستيوارت لتشعر بقوة جسده ودفئه فأحاط كتفيها بذراعه وجذبها إلى حضنه الآمن.

قال جيري بنبرة خافتة: «كنت أقول لإيفي إن هذه الأغراض ملك لي إذ دفعت ثمنها من مالي الخاص».

- وأجبته أنني لا أريد إلا الأغراض التي ورثتها راشيل عن العائلة وهي ثلاث سجادات وألبوم صور.

سألها ستيوارت بنبرة هادئة وعيناه الباردتان تسمران جيري على الحائط: «هل أنت مستعدة للذهاب؟».

- أجل.

أخذت حقيبة يدها عن الطاولة وخرجت من الباب. ورمق ستيوارت جيري بنظرة أخيرة مليئة بالازدراء ثم غادر الشقة وأقفل الباب وراءه.

سألها وهو يأخذ السجاد منها: «أفترض أنه تاجر المخدرات».

- أجل. كان يتصرف بطريقة خسيسة قبل وصولك. أشكرك لأنك أنقذتني.

ضحك ستيوارت ضحكة خافتة وأجاب: «بدا لي أنك كنت تبلين حسناً».

وقادها إلى المصعد مضيفاً: «لم تعودي مضطرة لترتيب الشقة ونقل محتوياتها».

- لحسن الحظ أنني تخلصت من هذا العبء.

ثم نظرت إليه وأردفت: «كان يبحث كالمجنون عن دفتر حساب خاص براشيل. وأصيب بنوبة من الهستيريا عندما فشل في العثور عليه».

- هل عثرت أنت عليه؟

هزت إيفي رأسها وردّت: «لم أعثر على أي دفتر حسابات. ثارت ثائرته أيضاً عندما علم بأمر المجوهرات».

- فليحاول استرجاعها!

- قلت له إنني أنوي إعادتها إلى المليونير الذي قدمها لها.

انفجر ستيوارت ضاحكاً وقال: «لا بد أنه فقد صوابه».

- بدا غاضباً جداً لكنني كنت جادة في ما أقوله.

ثم قطّبت جبينها وأضافت: «لكن كيف سأتمكن من العثور عليه؟».

- سأهتم بالأمر. ما عليك سوى أن تقلقي بشأن الجنازة، وستجدينني دوماً بجانبك.

ابتسمت له ابتسامة رقيقة وقالت: «شكراً على كل ما فعلته».

- ما كنت لأتركك وحدك وسط هذه الفوضى.

توقّف المصعد في الردهة، فنزلا منه وتوجها إلى سيارة الليموزين التي تنتظرهما على مسافة قريبة جداً من مدخل المبنى. وضع ستيوارت السجاد في الصندوق وساعد إيفي على الصعود.

عند وصولهما إلى الفندق، بدت إيفي في حالة من الإرهاق الشديد.

- يمكنك النوم في الغرفة الرئيسية. سأنام في الغرفة المجاورة لغرفة الجلوس.

- لست بحاجة إلى غرفة بهذا الحجم. أفضّل النوم في الغرفة الصغيرة.

هز كتفيه بلامبالاة قائلاً: «افعلي ما يحلو لك».

www.rewity.com Breathless

ثم حمل حقيبتها إلى الغرفة الأصغر حجماً وتركها لتفرغها وهو يقول: «لمَ لا تستلقين قليلاً؟ أريد أن أجري بعض الاتصالات الهاتفية. ويمكننا أن نتناول العشاء في وقت لاحق».

فتحت إيفي حقيبتها وهي تقول لنفسها: «لم أحضر معي ملابس رسمية».

ثم صرخت وقد أدركت أنها لم تجلب معها سوى سروالين وقميصين وحذاءً إضافياً: «يا للهول!».

كيف يُعقل أن تنسى أنها ستمضي الليل خارج المنزل؟

- ما الأمر؟

- نسيت أن أجلب معي ملابس للنوم.

- سأهتم بالأمر. ارتاحي قليلاً. سأعود بعد قليل. لا تفتحي الباب لأحد.

لم يحاول أن يشرح لها سبب طلبه هذا. كان واثقاً من أن خبر وجودها في المدينة للاهتمام بمراسم دفن أختها سيصل إلى مسامع الصحفيين الفضوليين الذين قد يأتون لإزعاجها. وغادر ستيوارت الغرفة فخلعت إيفي حذاءها ووضعت حقيبتها في زاوية الغرفة، ثم استلقت على الفراش الوثير وهي ترتدي ملابسها. لم تشأ أن تستسلم للنوم لكنه غالبها بعد هذا النهار الطويل الحافل بالأحداث.

داعبت رائحة القهوة الطازجة أنف إيفي وأيقظتها من سباتها فجلست في سريرها من دون أن تفتح عينيها. خرقت ضحكة خافتة نابضة بالرجولة الصمت المخيم على الغرفة، وسمعت ستيوارت يقول لها: «هكذا يكون رد فعلي عندما أشم رائحة القهوة وأنا نائم».

وناولها الفنجان الساخن مضيفاً:

- احترسي، إنه ساخن جداً.

ابتسمت له ابتسامة ناعسة وهي تتناول الفنجان من يدها. لم ينسَ

أنها تحب القهوة بالحليب وبدا لها هذا مثيراً بقدر الطريقة التي ينظر بها إليها.

- هل تشعرين بالجوع؟

- يمكنني أن آكل شيئاً.

- طلبت من خدمة الغرف أن ترسل لنا طبقاً من اللحوم الباردة. الحقي بي عندما تصبحين جاهزة.

غسلت إيفي وجهها وأعادت ترتيب شعرها قبل أن تنضم إليه في غرفة الجلوس الخاصة بالجناح.

- خذي طبقاً.

وقدم لها واحداً وهو يضيف: «كنت أفضّل شريحة من اللحم المشوي مع السلطة، لكن الوقت متأخر ولا ينبغي أن نتناول وجبة ثقيلة، لاسيما أنت».

ونظر إليها متفرساً قبل أن يتابع كلامه: «عليك أن تنامي».

أجابته إيفي قائلة: «لم أذق طعم النوم منذ الحادثة. كنت أعلم أن راشيل ستقضي بجرعة زائدة، لكنها تتعاطى المخدرات منذ سنوات طويلة ولم تصب بأي أذى».

- قد يقضي أي شخص من جراء تناول كمية كبيرة من حبوب النشوة مع أنه لا يقصد الانتحار.

- خير دليل على ذلك هو شقيق هايس. لم يتمكن هايس من نسيان ما حصل، على الرغم من مرور سنوات طويلة.

بدا واضحاً أن ذكر هايس أثار إزعاجه، فلم يعلق على كلامها واكتفى بملء طبقه والجلوس جانباً لارتشاف قهوته.

جلست وحيدة على الطاولة تلتهم الطعام من دون أن تستمتع به. بدا صامتاً أكثر من العادة فتساءلت في سرها عن سبب انزعاجه الشديد من ذكر هايس. أتراهما تنافسا في الماضي على قلب امرأة؟ أم لعله لا

www.rewity.com Breathless

يرغب في أن تتورط أخته في علاقة جدية معه؟

- ليس رجلاً سيئاً.

حملق بها بانشداه قبل أن يسأل:

- وهل قلت إنه كذلك؟

- لا يمكنك أن ترغم ميري على مواعدة هذا وعدم مواعدة ذاك.

رفع عينيه نحوها مذهولاً وردد: «ميري؟».

- إنهما صديقان لكن هذا لا يعني أنها تريد الزواج به.

لم يعلق على كلامها، وراح يرتشف قهوته وقد بدا غارقاً في التفكير.

لم تتمكن إيفي من إيجاد مبرر لهذا التصرف الغريب فجلست تتناول طعامها وتحتسي قهوتها وقد بلغ الإرهاق منها مبلغاً. لم يعد أمامها سوى أن تهتم بمسألة إحراق الجثة، لتصبح بعدها وحيدة في هذا العالم. شعرت إيفي بالإحباط لمجرد التفكير في الأمر.

- هل ستتصل بذلك الرجل بشأن مجوهرات راشيل؟

أومأ ستيوارت برأسه وأجاب: «سأتصل به في الغد وأنهي كافة الإجراءات الأخرى».

وضاقت عيناه وهو يضيف: «أشعر بالفضول حيال الدفتر الذي ذكره صديق راشيل».

- وأنا أيضاً. لا بد أنه يتضمن معلومات عن زبائنه.

لم يجب ستيوارت على الفور، وبدا قلقاً ومستغرقاً في التفكير.

- سمعت أنّ راشيل كانت تعرف من أين تتزود بالمخدرات في جاكوبزفيل. والكل يعلم أن هذه البلدة شكّلت في الماضي محوراً لتجارة المخدرات في الماضي ولا تزال.

وقطب ستيوارت أكثر قبل أن يتابع كلامه: «لعل الدفتر المذكور يتضمن أدلة تجرّم صديق راشيل وأشخاصاً آخرين أيضاً».

ثم رفع عينيه نحوها سائلاً: «ألا تعرفين ما هو شكل هذا الدفتر؟».

هزت إيفي رأسها بالنفي وردّت: «لم أتمكن من سؤاله لأنه كان ثائراً».

وأبعدت خصلة من شعرها عن وجهها وأضافت: «يؤسفني موتها بهذه الطريقة لكننا لم نكن مقربتين. بذلت ما في وسعها لتشوه سمعتي. خيّل إليّ أننا قد نصبح مقربتين يوماً، لكن إذلالها لي تعاظم مع مرور الزمن».

- أحبت راشيل الحياة المترفة ما جعلها قادرة على القيام بأي شيء لتحقيق مرادها.

أثارت نبرة صوته فضولها فسألته: «كانت في صفك في المدرسة الثانوية، أليس كذلك؟».

- أجل.

وضاقت عيناه الداكنتان وهو يتابع كلامه: «حاولت أن تتودد إلي لكنني خذلتها فقررت الانتقام مني. وكنت أنت مقربة جداً من ميري وصديقتها المفضلة».

أدركت إيفي في تلك اللحظة سبب نقمة راشيل المفاجئة عليها فقد خيل إليها أن إيفي ستسعى للتقرب من ستيوارت من خلال العلاقة التي تربطها بميري. ولا بد أن الغيظ كان يتآكلها كلما قصدت منزله. لعل راشيل أدركت حقيقة المشاعر التي تكنها له ما حثها على تلفيق الأكاذيب لستيوارت عنها.

- لهذا، قررت أن تملأ رأسك بالأكاذيب عن تصرفاتي الطائشة.

- أجل. هذا صحيح. ويؤسفني القول إنها كادت تنجح في تحقيق مرادها لكن ميري تولّت مهمة الدفاع عنك.

- لطالما كانت ميري أقرب إلي من أختي.

- وهي تحبك أيضاً.

www.rewity.com Breathless

وهب واقفاً من مكانه وهو يردف: «حان وقت النوم. أنت بحاجة للراحة».

ترددت إيفي قليلاً فأدرك ستيوارت السبب على الفور وقال لها: «لم أنسَ».

وأخرج كيساً وناولها إياه قائلاً: «نوماً هنيئاً».

وقفت عند باب غرفتها ثم التفتت نحوه وقالت: «ستيوارت.. أشكرك على كل شيء».

ودخلت إلى غرفتها وأقفلت الباب خلفها.

عندما فتحت الكيس، حبست أنفاسها ذهولاً فقد اختار لها ستيوارت ثوباً للنوم مع عباءة تتناسب معه. فاق هذا التصميم من حيث روعته ذلك الثوب الذي أعارتها إياه ميري منذ سنتين. لم تكن إمكانياتها المحدودة تسمح لها بشراء ثوب مماثل، ما جعلها في حيرة من أمرها لا تعرف كيف ستسدد ثمنه لستيوارت.

ارتدت إيفي قميص النوم والعباءة، وسرّحت شعرها الأشقر الطويل الذي يصل إلى منتصف ظهرها. وعندما نظرت في المرآة، تفاجأت بصورتها المثيرة المنعكسة فيها.

استلقت في سريرها وأطفأت النور مع أنها لا تشعر بالنعاس.. وإذا بصورة راشيل في المشرحة تتراءى لها فأرغمت نفسها على طردها. وعادت إيفي بالذاكرة إلى صيف عامها الثامن عشر. كان ستيوارت في المزرعة يهتم بالماشية مع عدد من رعاة البقر فوقفت إيفي تراقبه وهو يعتلي سرج الحصان بخفة. بقيت الصورة عالقة في ذهنها عند عودته لتناول الغداء فلاحظ نظراتها الحالمة وهو يترجّل عن ظهر الحصان.

نظر إليها بعينيه المتألقتين ثم قال لها بصوت خفيض: «إذا استمريت في النظر إلي بهذه الطريقة فستجدين نفسك في ورطة كبيرة».

ضحكت إيفي وأجابته: «آسفة، لكنني لم أرَ أحداً يمتطي الخيل

بهذه السهولة».

مد يده ولامس خصلات شعرها الناعمة وعيناه لا تفارقان وجهها. أحست في تلك اللحظة بشيء من السحر يسري بينهما وكاد يغمى عليها من شدة الانفعال. وعلى الرغم من مرور ثلاث سنوات على تلك الحادثة، ما زالت إيفي تشعر بحدة نظراته. ففي تلك اللحظة بالذات، أدركت حقيقة مشاعرها نحوه.

وانتظرت عناقه بلهفة، غير أن أحد رعاة البقر ناداه في تلك اللحظة فابتعد عنها وكأن شيئاً لم يحصل. بعدئذ، بذل ما في وسعه ليتجنّبها إلى أن جمعهما القدر في تلك الليلة التي أمضتها في منزل ميري...

وتناهى إلى مسمعها صوت موسيقى هادئة فحملتها تلك النغمات الرقيقة المثيرة إلى عالم آخر، عالم رأت نفسها فيه فتاة صغيرة تركض في الحقول المجاورة لمنزلها. كانت راشيل تركض خلفها وهي ترتدي فستاناً أبيض وحذاءً عالي الكعبين.

التفتت إيفي نحوها ونادتها لتحذّرها من الحفر العميقة في الحقل لكن راشيل أجابتها بأنها تعرف ما تفعله. ولم تكد تكمل كلامها حتى تعثرت ووقعت في أحد الخنادق العميقة. هرعت إيفي لنجدتها فوجدتها متمسكة بشجيرة صغيرة عند حافة الصدع وهي تصرخ بأعلى صوتها.

- إذا وقعت فسأخبر الجميع أنك دفعتني.

- سأنقذك يا راشيل! هيا، أمسكي بيدي.

صرخت راشيل في وجهها: «يداك متسختان! قذرة.. قذرة.. أنت قذرة.. لست أختي.. أكرهك.. ارحلي من هنا. ارحلي من هنا».

- أرجوك يا راشيل..

لكن راشيل أبعدت يدها بعنف ما جعلها تقع في الحفرة المظلمة وهي تصرخ: «قتلتني يا إيفي.. قتلتني».

وتعالى صراخ مخيف استمر إلى ما لانهاية..

www.rewity.com Breathless

٩ - كنت تحلمين

- إيفي! إيفي! استيقظي!.

أحست بيدين قويتين تمسكان بها وترفعانها. اختارت راشيل الوقوع في حفرة الموت، لكن ذلك الصوت العنيد أبى أن يسمح لإيفي باللحاق بها. أخذت نفساً عميقاً وفتحت عينيها ببطء.

طرفت بعينيها الناعستين وقد تفاجأت برؤية ستيوارت يحدق فيها.

- استيقظي يا عزيزتي.. كنت تحلمين...

بحثت عيناها في وجهه قبل أن تقول: «لم تسمح لي راشيل بمساعدتها. وقعت في الحفرة ولم أتمكن من إنقاذها».

- إنه مجرد كابوس. أنت الآن في أمان.

- في أمان.

وانتقل نظراته إلى الجزء العلوي من قميصها فصحح كلامه قائلاً: «النقل إنك في أمان نسبياً».

عندئذ، تنبّهت إيفي وأدركت سبب تفرسه فيها بهذه الطريقة فقد انزلق رباط كتفها من مكانه. وقالت له متلعثمة وقد أحست بالحمرة تعلو خديها: «لا.. لا يفترض بك أن تنظر إلي بهذه الطريقة».

أجابها بصوت أجش: «لا أقوى على منع نفسي».

لم تتمكن إيفي من الإجابة وسرت قشعريرة في جسمها.

قال لها هامساً: «تباً.. أكاد أفقد صوابي..».

وجذبها إليه بقوة حتى كاد يسحقها بعضلات صدره البارزة.

تأوهت إيفي فتردد ستيوارت قليلاً وقال لها هامساً: «هل آلمتك؟».

- لا!

وأحاطت عنقه بذراعيها مضيفة: «لم أتوقع هذا الفيض من المشاعر».

- حقاً؟

ومال نحوها من جديد، لكن عناقه كان اقل تهوراً هذه المرة.

كان يشعر بتوقها إليه. لكن، وعلى الرغم من الجوع الذي قرأته في عينيه، فاجأها حين ابتعد عنها وقد بدت عيناه أشبه بكتلتين متأججتين.

قال لها بنبرة هادئة: «كلا، المكان والزمان ليسا مناسبين».

أقرت في سرها بأنه يقول الحقيقة فيما أخذ ستيوارت نفساً عميقاً قبل أن يضيف: «ينبغي على أحدنا أن يتصرف بحكمة».

ثم رمقها بنظرة مثقلة بالحنان وأضاف: «تعالي إلى هنا».

وضمّها إليه بقوة قائلاً: «أؤكد لك أن لهفتي إليك تفوق التصور، لكن عليك أن تنامي. سأبقى بقربك حتى يغلبك النعاس».

- هل ستبقى هنا؟

- أجل، ولن أسمح للكوابيس بأن تراودك ثانية... نامي الآن.

أغمضت إيفي عينيها وهي واثقة من أنها لن تتمكن من النوم وهو على مسافة قريبة منها إلا أنها ما لبثت أن استسلمت للنوم ولم تستفق حتى الصباح.

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، لم تتمكن من النهوض من سريرها بسبب الألم الفظيع في عينها اليمنى وإحساسها بالغثيان. لم تتوقع أن يفاجئها الصداع هكذا على حين غرة.

دخل ستيوارت إلى الغرفة حاملاً فنجان القهوة غير أن الابتسامة ماتت على شفتيها عندما رأى إيفي تضغط بيدها على عينها اليمنى.

www.rewity.com Breathless

- إنه الصداع.

أومأت إيفي برأسها وهي تحاول جاهدة لتمنع نفسها من التقيؤ: «إنني في غاية الأسف».

- لا تكوني سخيفة.. لا أحد يخطط مسبقاً للإصابة بالصداع.... استلقي على السرير.

وعاد بعد قليل برفقة طبيب. ابتسم لها هذا الأخير وطرح عليها بعض الأسئلة ثم فحص نبضات قلبها وأعطاها حقنة في ذراعها. أغمضت إيفي عينيها واستسلمت للنوم من جديد.

عندما استفاقت من نومها، كانت حدة الألم قد خفت كثيراً فجلست في سريرها، وابتسمت لستيوارت قائلة له بصوت أبح: «شكراً».

- لا تنسي أنني أعرف هذا الإحساس.. هل يمكنك أن تأكلي البيض وترتشفي القهوة؟

- أظن ذلك.

وخرجت من سريرها مترنحة بعض الشيء من تأثير الأدوية.

- أظن أن الإجهاد هو السبب فغالباً ما يسبب لي الصداع.

- أعلم ذلك.

وبدلاً من أن يتركها تسير نحو الطاولة، حملها بين ذراعيه وقادها إلى هناك. أجلسها على الكرسي ثم راح يطعمها البيض واللحم المقدد بنفسه.

أثار هذا التحوّل اللافت في علاقتهما ذهولها فهي غير معتادة على هذا الكم من الحنان الذي أغدق به عليها.

ابتسم ستيوارت لها وقد ظهر في عينيه الداكنتين وميض غريب.. عندما انتهى من إطعامها، ضمها إلى صدره برقة ثم جلسا يرتشفان القهوة معاً. لم ينبس أي منهما ببنت شفة... فالكلمات لم تكن لازمة... أحست إيفي بالأمان.. أحست بأنه يحبها.

وفي وقت لاحق، أقلتهما سيارة الليموزين إلى دار دفن الموتى حيث كان رفات راشيل قد وضع في جرة برونزية مزخرفة. بعدئذ، انتقلا إلى المطار، وكان طيار ستيوارت في انتظارهما.

حرص ستيوارت طوال الرحلة على أن يمسك بيدها. وعندما وضعا أغراضها البسيطة في سيارته المركونة في مرآب المطار، حرص أيضاً على أن يمسك بيدها طوال الطريق المؤدية إلى منزلها.

كان الإحساس جديداً ومثيراً بالنسبة اليها وخشيت أن تفسد الكلمات سحر تلك اللحظات فبقيت صامتة.

أوقف السيارة أمام منزل السيدة براون وأطفأ المحرك ثم ساعدها على النزول قبل أن يحمل حقيبتها والأغراض الأخرى إلى الشرفة. ووضع الجرة التي تحتوي على رفات راشيل بحذر قرب حقيبتها.

كان الظلام يخيّم على المكان، إذ يبدو أن السيدة براون نسيت أن تضيء أنوار الشرفة.

سألها بدماثة:

- هل ستكونين بخير؟

- أجل، أشكرك على كل ما فعلته من أجلي.

- لا شكر على واجب. إذا حاول تاجر المخدرات الاتصال بك فأبلغيني على الفور، اتفقنا؟

أومأت إيفي برأسها وأجابته: «اتفقنا».

- وإذا تذكرت أي شيء عن دفتر اليوميات فاتصلي بي.

- سأفعل ذلك.

ولامس خدها الناعم بيده قبل أن يقول: «لم يتسنَ لي أن أهتم بموضوع المجوهرات، لكن أعدك بأن أتصل بذلك الرجل خلال هذا الأسبوع لأعيدها له. هذا إن كنت واثقة تماماً من أنك لا تريدين الاحتفاظ بها».

www.rewity.com Breathless

أجابته برباطة جأش: «هذا هو التصرف الصائب. لعل أختي كانت عديمة الضمير لكنني لست مثلها».

- أعلم هذا.

لم تكن ترغب في أن يرحل فقد اعتادت على وجوده خلال اليومين الماضيين. عليها أن تنام وحدها، وإذا عاودها الصداع فعليها أن تأخذ الدواء وتتضرع إلى الله ليغلبها النعاس لأنها لن تجده قربها.

- لا تنظري إلي بهذه الطريقة، وإلا لن أتمكّن من الرحيل.

وأحست بتوتر فكه وهو يتابع قائلاً: «أنا أيضاً لا أرغب في العودة إلى المنزل وحدي».

أطلقت إيفي تنهيدة مسموعة، فقال لها هامساً: «أيتها الفتاة العمياء».

وشدّها إليه وعانقها بشغف.. وعندما أطلق سراحها بعد وقت طويل جداً، أحست وكأنها شربت من كأس حبه حتى الثمالة.

وفجأة، لمع البرق في السماء وتبعه هدير الرعد فانتفضت إيفي وقالت له بحزم: «عليك أن تحترس في طريقك إلى المنزل».

ابتسم لها وأجابها: «لا تنسي أن ترتدي معطفاً واقياً من المطر إذا كانت السماء تمطر في الصباح أثناء توجهك إلى العمل».

انهمرت الأمطار غزيرة على الشرفة حتى بللتهما. فقال لها وهو يدفعها برقة نحو الباب: «أدخلي.. سأتصل بك في الصباح».

وضعت إيفي أغراضها في الداخل وانتظرته ريثما انطلق بسيارته فأحست وكأن حياتها على وشك أن تشهد ولادة بداية جديدة.

كانت السيدة براون وليتا قد خلدتا إلى النوم. نقلت إيفي أغراضها إلى غرفتها ووضعت رفات راشيل جانباً. ستهتم في الغد بمسألة دفنها إلى جانب والدهما.

استلقت في سريرها لوقت طويل وهي تفكر في ما آلت إليه علاقتها بستيوارت، وأملت من كل قلبها أن يجمعهما المستقبل تحت سقف واحد.

في اليوم التالي، تذكّرت إيفي أنها وضعت دفتر يوميات راشيل في حقيبة يدها. وقبل أن تبدأ جولتها على الزبائن، أخرجته وبدأت بقراءة ما كتب فيه. لم تكن المسألة تقتصر على سرد عادي للأحداث اليومية، بل بدت أخطر من ذلك بكثير. وجدت إيفي مجموعة من الأسماء، وأرقام هواتف وغيرها من الأرقام التي بدت كالإحداثيات الجغرافية.

قرأت فحوى الدفتر مراراً وتكراراً، وفي كل مرة، كانت حيرتها تزداد أكثر فأكثر. بعدئذ، أخرجت الرسالة التي تلقتها راشيل من أحد مكاتب المحاماة في سان أنطونيو وتسمّرت في مكانها مصعوقة. كانت الرسالة تتحدّث عن خزنة في جاكوبزفيل، خزنة لا يتم فتحها إلا في حال حصل لها أي مكروه. كان المكتب يذكّرها بأنها لم ترسل لهم المفتاح.

أطلقت إيفي تنهيدة ألم. كانت واثقة من أن راشيل تورطت في أمور غير شرعية. وبدا واضحاً أنها كانت تبتز أحدهم. أتراه الثري الذي أهداها تلك المجوهرات؟ أم لعله صديقها؟ أم أحد زبائنه؟

وأدركت على الفور أنها لن تتمكن من معالجة هذه المسألة الخطيرة وحدها فاتصلت بالشريف هايس كارسون وطلبت منه الحضور إلى منزلها. استقبلته عند الشرفة بابتسامة عريضة ثم دعته للدخول إلى المطبخ حيث أعدت القهوة.

قالت له بعد أن سكبت القهوة: «أشكرك على حضورك بهذه السرعة.. إنني عاجزة عن معالجة هذه المسألة بمفردي وأحتاج لمساعدتك».

www.rewity.com Breathless

وناولته دفتر اليوميات ورسالة مكتب المحاماة التي عثرت عليها في شقة راشيل.

قطب هايس جبينه وهو يقرأها ثم قال لها: «إنها إحداثيات نظام تحديد المواقع العالمي. وأعرف صاحبي الاسمين المذكورين هنا».

ونظر في عينيها مضيفاً: «إنهما متورطان مع اتحاد المخدرات في المكسيك الذي كانت تديره كارا دومينغز قبل اعتقالها؛ جولي ميريل، وويلي كار، صاحب المخبز الذي أبلغته تلك الرسالة عن الدقيق».

- رباه!

- هذه المعلومات تساوي ثقلها ذهباً لكن المفتاح الذي ذكرته لا يزال مفقوداً، مع أنه العنصر الأهم. أخشى أن حياتك ستصبح في خطر إذا ما شك أحد شركاءها بوجود الدفتر بحوزتك. نحن نتحدث عن شحنات من المخدرات تساوي مئات الملايين من الدولارات.

قالت له: «لكنني لا أعرف مكان المفتاح. بحثت في الأغراض التي أحضرتها من شقتها، حتى أنني تحققت من السجاد لأتأكد مما إذا دسته في البطانة لكن من دون جدوى. لا أعلم أين وضعته».

- هل أخذت أي شيء آخر من الشقة؟

- أجل... المجوهرات التي أهداها إياها ذلك العجوز الثري الذي كانت تواعده. وضعها ستيوارت في خزنة في أحد المصارف في نيويورك ريثما يتمكّن من الاتصال بالرجل ويعيدها له.

قطب هايس جبينه وسألها: «هل عثرت على أي علبة صغيرة أو مفتاح معلق بسلسلة من الذهب؟».

- كلا.

ارتشف هايس قهوته وقال لها: «لا أريد أن أخيفك، لكن هل يمكنك الانتقال للعيش مع أحد ما ريثما نتمكن من العثور على المفتاح؟».

لو وجه إليها هذا السؤال قبل يوم واحد فقط لأجابت من دون تردد أن ستيوارت وميري على استعداد لاستقبالها. لكن ستيوارت لم يتصل بها كما وعدها كما أن ميري لم تسأل عنها. ولا يمكنها أن تطلب منهما استضافتها في منزلهما في ظل الظروف الراهنة.

أجابته بنبرة حزينة:

- كلا.

- حسناً. أريد منك أن تبلغني بمكانك ليل نهار. سأحاول الاتصال بألكسندر كوب في مكتب مكافحة المخدرات فضلاً عن رئيس الشرطة كاش غرير لتتخذ الإجراءات اللازمة لتأمين الحماية لك.

ثم حمل دفتر اليوميات المبطّن وسألها: «هل يمكنك ائتماني عليه؟».

- بالتأكيد.

وفيما هو يمرر إبهامه على ظهر الدفتر تسمّر مكانه. وضع الدفتر على الطاولة وأخرج سكيناً صغيرة من جيبه. وقبل أن يتسنى لها أن تطرح عليه أي سؤال، شقّ القماش الذي يغلف الظهر وأخرج المفتاح.

- يا رب السماوات! كيف عرفت..

- إنها مجرد صدفة. شعرت به تحت إبهامي. علي أن اتصل بمكتب المحاماة لأتأكد مما إذا كان المفتاح مطابقاً. قد أحتاج إليك بصفتك الوريثة لأتمكن من فتح الصندوق.

أجابته على الفور: «عليّ أولاً أن أقابل بلاك كيمب وأطلب منه إنجاز المعاملات اللازمة لتقدير موجودات راشيل».

- يمكنني أن أرافقك إذا لم يكن لديك ما تفعلينه الآن. أريد التحدث إليه أيضاً.

- عظيم. شكراً لك.

خرج هايس إلى الشرفة بينما سارعت إيفي إلى الاتصال بمكتب

www.rewity.com Breathless

بلاك كيمب لتبلغه بحضورها برفقة هايس كارسون في خلال نصف ساعة.

صعدت في السيارة الخاصة بالشريف ووضعت في حضنها دفتر اليوميات والرسالة الموجهة من مكتب المحاماة وحقيبتها.

وما إن خرجا من الطريق الفرعية، حتى شغّل سائق السيارة المركونة بجانب الطريق المحرك، ولحق بسيارة هايس كارسون.

جلس هايس في غرفة الانتظار بينما دخلت إيفي إلى مكتب بلاك كيمب لتتكلم معه بشأن موجودات راشيل. لم تكن تملك أي بيانات مصرفية أو وثائق أخرى تثبت حقيقة ما تملكه أختها لكن رسالة المحامي توحي بالكثير.

قرأ بلاك الرسالة ثم هز رأسه قائلاً: «لم تكن تشبهك أبداً».

- أخبرت أبي أنني لست ابنته. فهل من وسيلة للتأكد من الأمر...

- لست ابنته؟؟

وظهرت في عينيه الزرقاوين سحابة سوداء عابرة قبل أن يقول: «لا يُعقل أن تكون والدتك قد خانت والدك يوماً فقد كانت متيمة بحبه على الرغم من طباعه الشرسة وسوء معاملته لها. كما أن والدك كان ليقتل أي رجل يحاول الاقتراب منها».

سألته وقد غمرتها موجة من الارتياح: «هل أنت واثق من ذلك؟».

- كل الثقة. نالت راشيل العقاب الذي تستحق. ما الذي دفعها إلى تلفيق كذبة مماثلة؟

- ألم تخمّن بعد؟ أرادت أن تستولي على كل شيء بعد وفاة أبي. فهل يُعقل أن يترك لي إرثاً إذا كان يشك في أبوّته لي؟

وتساءل الرجل بصوت عالٍ: «أتراها نجحت في تحطيم حياة الكثيرين؟».

- لا شك في أنها نجحت في تحطيم حياة البعض. كان صديقها

يبحث عن دفتر اليوميات كالمجنون. قال لي هايس إنه يتضمن معلومات هامة عن عمليات الاتجار بالمخدرات.

- بقي أمر أخير لا أظنك تعرفينه عن راشيل. لم تكن تتعاطى المخدرات فحسب بل تتاجر بها أيضاً. لطالما كانت علاقتها وطيدة بتجار المخدرات المحليين. وإذا كان صحيحاً أنها تملك الوثيقة المذكورة في الرسالة، فلا بد أنها تتضمن العديد من الأسماء ما سيساعد على القبض على تجار المخدرات المحليين. على أيّ حال لا تقلقي، سأهتم بكل شيء. لكن علي أن أتصل بستيوارت يورك لأسأله عن تلك المجوهرات.

- نعم.

كانت إيفي في حيرة من أمرها. ما الذي منعه من الاتصال بها حتى الآن؟ فمنذ الصباح الباكر وهي تحمل هاتفها آملة أن يرن في أي لحظة.

- سأطلب من هايس الدخول.

وطلب من الموظفة أن تدخل إلى مكتبه هايس الذي عرض عليه دفتر اليوميات مؤكداً له أنه غاية في الخطورة.

قال هايس بنبرة كئيبة: «صديق راشيل على علم بأمر دفتر اليوميات. وأخشى أن يأتي إلى هنا إذا ما شك في وجوده بحوزة إيفي. إن كان صحيحاً أن راشيل تحتفظ بوثائق تدينه، فلن يكون لديه ما يخسره. لا أحد يستطيع محاكمته من دون دليل قاطع».

رفع الرجلان نظرهما إلى إيفي التي قالت: «يمكنني أن اشتري مسدساً».

أجابها هايس بحزم: «كلا، لا يمكنك ذلك. وجدت حلاً بشأن مكان إقامتك».

- يمكنني أن أنزل في فندق..

سأله بلاك بتردد: «لا أظنك تفكر في نزل مينيت؟».

www.rewity.com Breathless

توترت ملامح وجه هايس لكنه أجاب: «إنها تقيم خارج البلدة حيث يمكن رؤية كل من يدخل إلى المنزل، كما أن مدير مزرعتها كان عميلاً سرياً».

قاطعه بلاك قائلاً: «لكن ميري يورك صديقتها المفضلة. ويمكنها أن تقيم في منزلها. كما أن مدير مزرعة ستيوارت كان عميلاً فيدرالياً..».

غزا الاحمرار وجهها وقالت: «لكن ميري تقيم في سان أنطونيو. ولا أظن أن ستيوارت في البلدة».

أجابها هايس على الفور: «إنه في البلدة. رأيته هذا الصباح برفقة تلك الفتاة التي كان يواعدها».

أحست إيفي بقلبها يتوقف عن الخفقان. عندما ضمها ستيوارت إليه، وعانقها وعاملها بحنان فائق، ظنت أن علاقتهما ستستمر إلى الأبد. لكن فور عودتهما من نيويورك، سارع إلى البحث عن فريسة أخرى. لعل معاملته الرقيقة لها نابعة من شفقته عليها.

أغمضت عينيها وقد شعرت بالألم يعتصر قلبها ويمتد إلى كل شبر من أعصابها.

سألها هايس بعد مغادرتهما المكتب وصعودهما في السيارة: «هل أنت بخير؟».

أرغمت نفسها على الابتسام قائلة: «أنا بخير. حدثني عن مينيت».

بدا هايس متردداً وهو يقول: «أظنك تعلمين أنها صاحبة صحيفة جاكوبزفيل».

- ولكنني لم أقابلها من قبل.

هز كتفيه بلامبالاة وقال: «تقيم مع عمتها وشقيقها وشقيقتها لكنها في إجازة اليوم.. شب حريق في مكتبها وكان عليها أن ترسل بطلب فريق لتنظيف المكان وإصلاح الأعطال».

- هل كان الحادث مفتعلاً؟

- لست ادري. حاولت أن أحذرها من مغبّة شجبها المستمر لتجارة المخدرات لكنها رفضت الإصغاء إلى كلامي.

- يبدو لي أنها تقود حملة عنيفة.

رماها بنظرة غاضبة وأجابها: «لقد أثبتت أنها لا تقبل أي نصيحة لكن عنادها سيجعلها عرضة للقتل في نهاية المطاف».

- عليك أن تجد سبيلاً لتحميها فسعيها الحثيث للكشف عن تجار المخدرات يستحق الشكر.

- هذا صحيح.

وفجأة، صرخت قائلة وقد أدركت أنهما يسلكان الاتجاه الخاطئ: «هذه ليست طريق منزلي يا هايس».

- أعلم ذلك. خطرت لي فكرة.

www.rewity.com Breathless

١٠ - فرار وغيرة

كانت مينيت راينور في الرابعة والعشرين من عمرها، وتحتل منصب مدير تحرير مجلة جاكوبز تايمز التي تصدر أسبوعياً في مقاطعة جاكوبز. ورثت والدتها المجلة عن جد مينيت، واستمرت في إدارتها حتى وفاتها. لقد ترعرعت مينيت وسط أجواء العمل الصحفي، ولم تجد أي صعوبة في أن تحل محل والديها في إدارة المجلة. كانت طويلة القامة، نحيلة الجسم، داكنة العينين، شقراء الشعر، دقيقة الأنف. كان شعرها الأشقر الكثيف الذي يصل إلى حدود خصرها تقريباً أجمل ما فيها.

ورثت مينيت عن عمها مزرعة لتربية العجول فعهدت بإدارتها إلى راعي بقر كان يعمل لحساب والدها فضلاً عن طالبين من البلدة، يعملان فيها بدوام جزئي. وتعيش مينيت مع عمتها ساره التي تعاونها على تربية أخويها شاين وجولي.

وجدها هايس عند المدخل برفقة الولدين منهمكين بطلي الباب الأمامي. نهضت مينيت من مكانها وراحت تحدق في هايس بغضب.

- أريد أن أطلب منك خدمة.

أجابته بحدة:

- لا أدين لك بأي خدمة حضرة الشريف كاريسون.

- أعلم هذا لكن عليّ أن أضع إيفي في مكان آمن لأنّ تجار المخدرات يريدون النيل منها.

ضاقت عيني مينيت وبدت وكأنها فقدت القدرة على الكلام فانزعج كارسون من صمتها وقال لها بجفاء: «ستغطي المقاطعة نفقات إقامتها. لن يطول الأمر أكثر من أسبوع واحد».

التفتت مينيت نحو الولدين بعينين قلقتين فيما أضاف هايس: «سأترك أحد مساعديّ هنا أيضاً.. إن كنت لا تمانعين».

أجابته مينيت والانفعال واضح عليها: «لطالما رغبت في افتتاح فندق».

لكن عندما رأت إمارات الذعر على وجه إيفي، ابتسمت لها قائلة: «آسفة. لا بد أنك لاحظت أنني لست على وفاق مع الشريف لكن يمكنك البقاء هنا قدر ما تشائين. ستستمتع العمة ساره برفقتك كثيراً لأنني أمضي معظم النهار في العمل ولا أعود حتى ساعة متأخرة من الليل».

ورمت هايس بنظرة قاسية مضيفة: «هذا عندما لا أكون منهمكة في إعطاء جرعات زائدة للرجال».

- كفى!

أدركت إيفي في الحال أنه لا أمل لميري في الفوز بحب هايس فالعلاقة التي تربط هذين الاثنين قوية جداً، ولا تقتصر على العمل وحسب.

تقدّمت الفتاة الصغيرة من هايس، ورفعت عينيها إليها ثم سألته برقة: «ألديك أولاد؟».

التفت هايس نحو الفتاة الصغيرة التي كانت شقراء مثل أختها وأجابها: «كلا، ليس لدي أولاد».

هزت الطفلة رأسها قائلة: «هذا مؤسف حقاً.. تقول أختي إن الأطفال زينة الحياة».

- هلا أحضرت لي قطعة قماش من المطبخ يا جولي؟

www.lewity.com Breathless

- حسناً يا مينيت.

وصعدت الدرج على عجل ودخلت المنزل.

قالت مينيت لإيفي مبتسمة: «يمكنك الانتقال إلى منزلنا ساعة تشائين».

- سأرافقك إلى منزلك لتوضّبي أغراضك.

ترددت إيفي قليلاً وسألته:

- هل أنت واثق من أن هذا ضروري؟

- لن تتمكن السيدة براون من حمايتك إذا ما جاء صديق راشيل للبحث عنك.

- كما تشاء.

وابتسمت لمينيت قائلة: «يمكنني الطهي إن كنت بحاجة لمن يساعدك في تحضير الطعام».

انفجرت المرأة الأخرى بالضحك وردّت: «نتقاسم عمتي وأنا المهام في المطبخ. ومع أننا لسنا بارعتين بالطهي إلا أننا لم نسمم أحداً حتى الآن».

قال لها هايس ببرودة:

- حتى الآن.

التفتت اليه وعيناها تقدحان شرراً من شدة الغيظ وقالت: «لا بد من أن تظهر الحقيقة يوماً وتدرك أنني لم أقتل أخاك... أخوك قتل نفسه لكنك ترفض أن تتقبل هذه الحقيقة، أليس كذلك؟».

أجابها على الفور: «أنت من اشترى له تلك المخدرات التي قضت عليه».

- أؤكد لك للمرة العشرين أنني لم أدمن يوماً على المخدرات فكيف تتوقع مني أن أعرف مصدر المخدرات غير المشروعة في هذه البلدة؟

بدا في حيرة من أمره فتابعت تقول: «سئمت الجدال معك. اسمعي يا إيفي، سنجهز لك غرفة في الحال».

- شكراً لك... هايس؟

كان هايس يحدق في مينيت عابس الوجه.

- ماذا؟ نعم، سنرحل الآن.. اسمعي يا مينيت، أود التحدث إلى مارش.

- إنه مشغول بإصلاح سياج في المزرعة.

توجّه هايس إلى المزرعة ثم عاد بعد دقائق وصعد في السيارة وانطلق.

لم تسأله إيفي عن سبب حقده على تلك المرأة لكنها أدركت أن الأمر يتعلق بوفاة أخيه. فالجميع يعلم أن بوبي توفي إثر تناوله جرعة مفرطة من المخدرات، منذ ثلاث سنوات تقريباً، قبيل مغادرة راشيل البلدة إلى نيويورك. ولكن ما الذي جعله يحمّل مينيت مسؤولية موته؟

- إنها فتاة لطيفة جداً.

لم يجبها هايس بل قال: «ستكونين في أمان هناك. سيحرص مارش على ألا يصيبك أي مكروه».

ونظر إليه بطرف عينه مضيفاً: «ميري وستيوارت كانا ليرحبا بك في منزلهما».

في اليوم التالي، سمحت إيفي لهايس بفتح الخزنة في مصرف جاكوبزفيل، بحضور رئيس الشرطة كاش غراير والعميل التابع لمكتب مكافحة المخدرات الكسندر كوب، كشاهدين.

كانت راشيل تحتفظ بمجموعة من الأسماء، والمواقع، والتواريخ، فضلاً عن معلومات عن كميات المخدرات التي تم شحنها ومصدر شحنة ضخمة من الكوكايين. وتبين أيضاً أن صديقها متورط في تجارة المخدرات، إلى جانب مواطن مقيم في جاكوبزفيل وعضوين سابقين في

www.lewity.com Breathless

المجلس البلدي المحلي.

قال كاش غراير للرجلين الآخرين فيما هو يتفحص الوثائق التي بين يديه: «أظن أننا نملك أدلة كافية لتفكيك أكبر شبكة لتهريب المخدرات جنوب تكساس».

وافقه كوب الرأي قائلاً:

- إنها معلومات قيمة ومفيدة جداً.

ابتسم هايس لإيفي قائلاً: «إنّ الوثائق التي تركتها عوّضت عن أفعالها... بغض النظر عن دوافعها».

تساءلت إيفي في سرها عن هذه الدوافع، وخيّل إليها أنها أختها كانت تبتز أحدهم. لا شك أنها لم تكن تتوقع أن تموت أو أن تلعب دوراً بارزاً في القضاء على تجارة المخدرات في مقاطعة جاكوبز... إنه العمل النبيل الوحيد الذي قامت به راشيل في حياتها..

اتفق الجميع على أن تقيم إيفي في منزل مينيت. وعندما عادت إلى المنزل لتوضّب أغراضها، حاولت السيدة براون إقناعها بالبقاء لكن من دون جدوى.

شغلت إيفي الغرفة المجاورة لغرفة مينيت ونجحت في كسب ود الجميع بين ليلة وضحاها. فالعمة سارة امرأة ديناميكية، والطفلان محببان للغاية. أما مينيت، فتتحلى بحس الدعابة إلى حد كبير.

قالت لها بينما كانوا يتناولون العشاء: «تفاجأت كثيراً عندما أحضرك هايس إلى هنا فهو يكرهني كثيراً».

ضحكت إيفي ضحكة خافتة وأجابتها: «لعل كرهه لك هو السبب..».

ثم هزت رأسها وأضافت: «يقول إنني قد أكون مستهدفة... لكن ماذا لو حصل أي مكروه للولدين؟».

- لا تقلقي فمارش بايلي يقيم في المبنى المخصص للعمال.

المعروف أنه من أبرز القناصين في العالم ولم يخطئ الهدف يوماً.

- أرجو ألا يحصل أي مكروه. لكن صديق راشيل متورط إلى أقصى حد وأخشى أن يعلم أنني أحتفظ بدفتر يومياتها ويأتي للنيل مني.

- لا أظن أنه مغفل إلى هذا الحد.

في اليومين التاليين، مكثت إيفي مع آل راينورز. وقصدت مرة واحدة منزل السيدة براون حيث قادت سيارتها الصغيرة وعادت بها إلى منزل مينيت. مر هايس للاطمئنان عليها وأخبرها أنه تم توقيف صاحب المخبز ووجهت إليه تهمة الاتجار بالمخدرات. أما جولي ميريل فلا تزال حرة ولا أحد يعرف مكانها، بمن فيهم والدها.

- اتصلنا بقسم الشرطة الذي تولى التحقيق في وفاة أختك وعلمنا منهم أن صديقها تعرّض البارحة لحادثة نقل على أثرها إلى المستشفى. يبدو أن حياته في خطر والأمل في نجاته ضعيف جداً.

- ما الذي حصل له؟

- بلغني أنه سقط في بيت المصعد في المبنى الذي يقيم فيه، لكن الحادثة ليست مجرد قضاء وقدر.

لم تشعر إيفي بذرة أسف عليه فذلك الرجل الذي شجع أختها على الإدمان نال جزاءه ورحل بالطريقة نفسها التي رحلت بها راشيل.

سألته إيفي: «أتظن أنه بات بإمكاني العودة إلى منزلي؟».

تردد قليلاً وأجاب: «لا يمكنني منعك. لن يثير سميث المشاكل بعد اليوم، لكننا لم نتمكن بعد من القبض على أعضاء بارزين يعيشون في الظل ولا أحد يعرف هويتهم».

- لدي الحل المناسب.

- ما هو؟

- فلندع مينيت تكتب مقالة عن شبكة المخدرات في جاكوبزفيل تذكر فيها أن ملفات راشيل باتت بين أيدي الأجهزة المعنية ما سيدفعهم

www.rewity.com Breathless

إلى إعادة النظر في عملياتهم والحرص على البقاء بعيداً عن البلدة.

ظهر طيف ابتسامة على شفتيه وقال: «تعجبني فكرتك. حسناً، سأتحدث معها في هذا الشأن».

- وهل يمكنني العودة إلى المنزل؟ علي أن أنهي مراسم جنازة راشيل.

أومأ هايس برأسه قائلاً: «لا بأس، يمكنك الاتصال بي إن احتجت إلي».

- نعم شكراً يا هايس.

عادت إيفي إلى المنزل وهي في حالة من القلق الشديد فهي لا تريد أن تعرض حياة السيدة براون وليتا للخطر، إنما لا يجوز أيضاً أن تعرض حياة شقيقي مينيت للخطر. ليت ستيوارت بقي على اتصال بها! لم تنسَ بعد العذاب الذي قاسته بسبب عودته إلى تلك الفتاة. تخلّى عنها ببساطة فيما هي بأمس الحاجة إليه... ليتها تعرف السبب!

توجهت إيفي صباح اليوم التالي إلى المقبرة حيث وجدت مدير دار دفن الموتى ومساعده في انتظارها. كانت السماء ملبدة بالغيوم السوداء، والأشجار عارية من أوراقها والضباب يحجب الرؤية فأحست إيفي وكأنها في مكان مهجور. شعرت بالهواء بارداً جداًعلى وجهها، وكان النوم قد جفاها ليلة البارحة لشدة توترها. ما الذي فعلته حتى نفر ستيوارت منها بهذه الطريقة؟ كم كانت تتوق إلى حنانه! فرؤيته وإن من بعيد، يمكن أن تنعش قلبها. لكن يبدو أنّ ذلك أصبح صعب المنال.

كانت الريح تعصف بقوة من حولها وهي واقفة في ذلك المكان المخيف تتأمل الجرة التي تحتوي رفات راشيل. إنها المرة الأولى التي تشعر فيها بهذه الوحدة القاتلة.

بدأ مساعد المدير المسؤول عن دار دفن الموتى بتلاوة بعض الكلمات على رفات راشيل. وبينما كانت تصغي إلى كلامه، أسفت

إيفي في سرها لأن أختها هدرت حياتها سدى من شدة طمعها وحبها لذاتها. أغمضت عينيها آملة أن تساعد الصلاة تلك المرأة على العبور بسهولة إلى الحياة الأخرى.

وعندما رفعت نظرها، صُعقت لرؤية ستيوارت يورك متوجهاً نحوها، متجهم الوجه - كان يرتدي بذلة رمادية أنيقة أضفت على قامته لمسة مميزة. وقف قرب المقبرة ورفع عينيه نحو إيفي التي لم تعلم ما إذا كانت تشعر بالبهجة أو البؤس...

قال لها بنبرة جافة: «آسف على التأخير لكنني لم أكن واثقاً من موعد الجنازة. ودّت ميري أن تحضر لكنها لا تعرف الموعد أيضاً».

- لم أتخيّل أن أحداً قد يرغب في الحضور.

ضاقت عيناه الشاحبتان وقال: «ليتك لا تطلقين العنان لأوهامك».

وأمسكت يده الضخمة بيدها الصغيرة وشدت عليها فرفعت نحوه عينيها المغرورقتين بالدموع وقد شعرت فجأة بالأمان والثقة.

قدّم مدير دار دفن الموتى تعازيه لإيفي ثم أشار للعامل أن يضع الجرة في مثواها الأخير.

سألها ستيوارت: «أتريدين البقاء هنا؟».

أومأت برأسها مجيبة: «يا لها من طريقة محزنة للموت!».

شد على يدها من دون أن يتفوه بكلمة ثم رافقها إلى سيارتها.

أمسكها برقة من كتفيها وأدارها نحوه ثم قال لها ببرودة: «رأيتك في سيارة هايس كارسون صباح اليوم الذي تلى عودتنا من نيويورك... ورأيتك برفقته في اليوم التالي أيضاً».

- أجل، لأن الرئيس غرايير...

قاطعها قائلاً: «أراد الإشراف على عملية فتح الخزنة. كان بإمكانك الاتصال بي وإبلاغي بالأمر».

- هذا صحيح..

www.rewity.com Breathless

وتأججت في عينيها نيران الغضب وهي تقول: «وكان بإمكانك أن تتصل بي بدلاً من أن تتجول في البلدة برفقة تلك الفتاة الفاتنة التي كنت على علاقة بها».

تلاشت القسوة من تعابير وجهه وظهر طيف ابتسامة على ثغره قبل أن يسألها: «هل شعرت بالغيرة؟».

أجابته على الفور: «وهل شعرت أنت بالغيرة؟».

انفجر ستيوارت بالضحك وقد بدا عاجزاً عن ضبط نفسه أكثر.

توهج خداها فأخفضت عينيها إلى صدره قائلة: «ظننت أنك... أقصد القول إن..».

لامس خدها بأنامله وقال بصوت هامس: «وأنا أيضاً».

تلاقت نظراتهما فلم تقوَ على أن تشيح بنظرها بعيداً. أرادت أن تطوق عنقه بذراعيها لكنه أمسك بهما وقال: «لا.. ليس في المقبرة».

- أنت من بدأ ذلك.

- وأنت ضعيفة الإرادة... يعجبني هذا فيك..

ضحكت إيفي بخجل.

- لِمَ رافقت هايس إلى منزل مينيت راينور؟.

- كيف عرفت...؟؟

قال لها بحنان: «يعيش في هذه البلدة العديد من الفضوليين. كان بإمكانك أن تتصلي بي».

أرادت أن تجادله لكنها أدركت أنه على حق فتململت بين ذراعيه وقالت له من دون أن ترفع عينيها: «كانت كبريائي مجروحة لاسيما بعد أن علمت أنك ظهرت برفقة تلك المرأة».

- جاءت لتزور عمها وطلبت مني أن أوصلها إلى المدينة، فوجدت نفسي محرجاً فعمها هو في الوقت نفسه شريكي في الأعمال.

ورفع ذقنها ثم أضاف: «كان بإمكاني أن أطلب من شايس أن

يوصلها إلى البلدة. لكن بعد أن رأيتك برفقة هايس، قررت أن أوصلها بنفسي ليراني الناس ويصلك الخبر. حرصت على المرور أمام مكتب هايس ليتمكن من رؤيتنا.. وهذا ما حصل بالفعل».

- تركت لنا راشيل معلومات في غاية الأهمية ستساعدنا في القبض على أرباب تجارة المخدرات المحليين.. لعلها أرادت أن تعوض عما فعلته بطريقة أو بأخرى.. ماذا عن المجوهرات؟؟

- سافرت البارحة إلى نيويورك وطلبت من محامي الرجل موافاتي إلى المصرف. تفاجأ كثيراً عندما علم أنك تريدين إرجاع المجوهرات كلها، وأراد أن يكافئك..

- لا أريد شيئاً منه..

ابتسم ستيوارت قائلاً: «قلت له الكلام نفسه... أتعلمين ما قاله لي؟».

- ماذا؟

- قال لي إنك فريدة من نوعك وإنني رجل محظوظ جداً.

- أراهن على أنك لم توافقه الرأي.

- ليس في تلك اللحظة.

ثم قطب جبينه وأردف: «لم تخبريني بعد عن سبب ذهابك إلى مزرعة مينيت برفقة هايس. فالجميع يعلم أنه يكرهها لأنها زودت أخاه بالمخدرات التي قضت عليه».

- طلب من مارش السهر على حمايتي.. واختار مزرعتها لأنها المكان المثالي إذ يمكن رؤية من يقصدها عن بُعد، ما يعني أنه لا يمكن التسلل إليها.

- إنه على حق.. كان مارش عميلاً فيدرالياً.. وشايس أيضاً... ستكونين بأمان في منزلي.

- هل أنت واثق من ذلك؟

www.rewity.com Breathless

أخذ نفساً عميقاً وقال لها: «طلبت من ميري أن تأخذ إجازة لبضعة أيام وتعود إلى المنزل لتتمكن من البقاء مع حبيبتي. . انفجرت ضاحكة عندما اعترفت بأنك هي».

- لا شك عندي في ذلك.

رفع يدها إلى فمه وطبع قبلة على راحتها قائلاً: «سألحق بك إلى منزلك. يمكنك أن تتركي سيارتك هناك وترافقيني بسيارتي إلى منزلي».

ترددت إيفي قليلاً ثم قالت: «لم يمضِ وقت طويل على عودتي من منزل مينيت. وأنا قلقة على سلامة ليتا والسيدة براون. . كما أنّ صديق راشيل يحتضر. .».

وتوقفت قليلاً عن الكلام ثم أردفت: «أخشى أن يأتي أحد هؤلاء المجرمين للبحث عني. . . وإذا رأى سيارتي أمام المنزل فستتعرّض حياة السيدة براون وليتا للخطر».

- ما رأيك لو نتركها أمام مكتب هايس؟

- ألا تظن أنه قد يمانع؟

- إطلاقاً. . ألا تدركين أن هايس يستمد القدرة على البقاء من الإثارة التي يجدها في عمله. . لهذا السبب، لم يتزوج حتى الآن. . لا يمكن لأي امرأة عاقلة أن ترضى بالزواج به.

- شعرت بتيار غريب يسري بينه وبين مينيت.

- أنا واثق من أن الانفجار بات وشيكاً. . . ولا أحد يعرف ما يمكن أن يحصل. . لهذا السبب، لم أشجّع ميري على التقرب منه.

- لكن ميري ليست مغفلة. .

- ربما . . . هيا بنا . .

ابتسمت الحياة لها من جديد، فنسيت إيفي جنازة راشيل والأمور الأخرى كلها. . أوقفت سيارتها أمام مكتب الشريف ودخلت برفقة ستيوارت. .

- كنت أتساءل عن سبب رفضها المكوث في منزلك فميري صديقتها المفضلة منذ أيام الدراسة. .

- كان مجرد سوء تفاهم بيننا.

وأمسك بيد إيفي محاولاً أن يوضح الموقف لهايس. .

- لكننا وضعنا النقاط على الحروف. ميري ستعود إلى المنزل لتمضي بضعة أيام، وسنحرص أنا وشايس على تأمين الحماية لها.

ابتسم هايس ابتسامة خبيثة وسأله:

- ماذا عن تلك الفتاة الفاتنة؟

رفع ستيوارت حاجبه وأجاب: «خطيبها في انتظارها في هيوستن».

وراح يحدق في إيفي بتمعن ما جعلها تحمر خجلاً.

- أشكرك لأنك سمحت لي بترك سيارتي هنا. . لم أكن أحبذ فكرة تركها أمام منزل السيدة براون. .

- لا بأس. ربما كان من الأفضل أن يظنوا أنك تختبئين في مكتبي. . في الواقع، أرجو أن يظنوا ذلك. . سأتصل بكاش وأخبره بما حصل.

- اتصل بي إذا ما ألقيت القبض على أحد منهم.

- من دون أدنى شك.

سألت إيفي ستيوارت وهما في طريقهما إلى منزله: «أتظن أنه سيتصل بي إذا ما ألقى القبض على أحدهم؟».

- أعتقد ذلك. . فأنت متورطة في هذه المسألة سواء شئت أم أبيت. .

وأمسك بيدها ثم أضاف: «اكتشفت شيئاً في نيويورك ولم أشأ أن أطلع هايس عليه».

- ماذا؟

كانت شبه واثقة من أن ما اكتشفه ليس ساراً. .

www.rewity.com Breathless

- كان المليونير كثير الشكوك فاستخدام تحرياً خاصاً لملاحقة راشيل ما أوصله إلى أحد أكبر موزعي المخدرات في البلاد. قال التحري إنها كانت تبتز الرجل بالمعلومات التي تمكنت من جمعها من صديقها، مؤكدة له أنها خبّأت الأدلة في مكان لا يستطيع أحد الوصول إليها.

سألته قلقة:

- هل أقدموا على قتلها؟

- لو كنت مكانهم لما فعلت ذلك، لاسيما وأنني لا أملك أدنى فكرة عن المعلومات المتوفرة لديها أو المكان الذي خبأتها فيه.

- أدمنت المخدرات منذ سنوات طويلة، ولا أظن أنها قد تتناول جرعة زائدة وهي بكامل قواها العقلية..

- لا اثر لأي عنف جسدي عليها.. سألت الطبيب الشرعي..

- كيف إذن...؟؟؟

- أثبتت الفحوصات التي أجروها أن المادة التي حقنتها خالية تماماً من أي شوائب... والكمية التي أخذتها كانت كبيرة جداً.

سألته بحذر: «أيعقل أن يكون أحدهم قد ساعدها على أخذ هذه الكمية الكبيرة؟».

- كان صديقها متورطاً معها في كافة مؤامراتها.. وليس مستبعداً أن يكون قد أعطاها الحقنة بدلاً من تلك التي كانت تتعاطاها لينقذ نفسه.. لعله لم يكن على علم بالأدلة التي بحوزتها.. ربما ظن أنها مخادعة.. أخذت أختك جرعتها المعتادة ولكنها كانت قاتلة هذه المرة لأنه تم استبدالها... إنها الطريقة المثلى ليبدو الأمر وكأنه انتحار.

- إذا كان ما تقوله صحيحاً، فلا شك أنه في ورطة كبيرة... لأن مكتب مكافحة المخدرات ينوي تفكيك كافة شبكات تهريب المخدرات، ما يعني أن أرباب هذه التجارة سينزلون العقاب بمن فعل

بهم ذلك.. ولن يجدوا أمامهم أحداً سواه... إذا بقي على قيد الحياة فسيتمنى الموت حتماً.

- أجل... إنها العدالة إذا صح التعبير..

هزت إيفي رأسها وأجابته: «مسكينة راشيل... لطالما كانت جشعة».

- هذا صحيح..

وضغط على يدها وتابع يقول: «كانت في تلك الحفلة برفقة بوبي شقيق هايس... ولعلها أرادت أن تسدي له خدمة لأنه ثري وهي تعرف المروجين كلهم.. ولكن عندما ساءت الأمور، ألقت اللوم على مينيت».

وافقته الرأي قائلة: «لا أستبعد الأمر.. ولكن هايس يظن أن مينيت هي المذنبة».

- وحده الله يعرف السبب... فمينيت لم تخالف القانون يوماً كما لم تعاشر فتياناً فاسدين».

- يصاب هايس بالعمى في المسائل المتعلقة بها..

ابتسم لها قائلاً: «يميل الرجال إلى التصرف بهذه الطريقة عندما يخشون الوقوع في شرك الارتباط».

- أظن أن معظم الرجال لا يحبون الارتباط.

- هذا صحيح. لاسيما عندما ندرك أن رجل آخر يتعدى على ممتلكاتنا...

نظر إليها بطرف عينه مضيفاً: «كنت على استعداد لضرب هايس».

أحست بموجة احمرار تجتاح خديها فيما تابع يسألها: «هل أنت واثقة من أن لا شيء يربطك به؟».

- كل الثقة..

وجدا ميري في انتظارهما في المنزل، فشعرت إيفي بشيء من خيبة

www.rewity.com Breathless

الأمل لأنها أرادت أن تمضي بعض الوقت برفقة ستيوارت.

عانقتها ميري وقالت لها: «لم أصدق أذنيّ عندما أخبرني بالأمر».

نظرت إيفي بطرف عينها إلى ستيوارت بخجل فيما تابعت ميري كلامها: «هيا بنا ندخل.. أعدّت السيدة روديس القهوة والبسكويت».

- أرغب في شراب ساخن... كان الهواء بارداً جداً في المقبرة..

- لو عرفت موعد الجنازة لأتيت في وقت مبكر.. آسفة بشأن راشيل.

- وأنا أيضاً.. ليت خياراتها في الحياة كانت أفضل.

قال ستيوارت وهو يهم بالجلوس على الأريكة قرب إيفي: «أرجو أن تساهم المعلومات التي تركتها في إقفال باب تجارة المخدرات في المنطقة إلى الأبد».

رفعت ميري حاجبيها استغراباً وسألت: «هل تحوّلت راشيل إلى مخبرة؟».

راحت إيفي تروي لها ما حصل. وعندما انتهت، سألتها ميري بفضول: «لكن لِمَ أخذك هايس إلى منزل مينيت وهو يكرهها؟».

أجاب ستيوارت وهو يقضم قطعة من البسكويت: «لو كنت مكانك لما راهنت على ذلك».

أطلقت ميري تنهيدة عميقة وقالت: «عندما كنت في السادسة عشرة وقعت في غرام هايس لكنني لست غبية إلى حد الاعتقاد بأننا قد نشكل ثنائياً مثالياً».

وظهرت ابتسامة خجولة على ثغرها وهي تضيف: «تعرّفت إلى طبيب وسيم في المستشفى».

- أخبريني عنه..

أنهى ستيوارت قهوته ونهض من مكانه قائلاً: «علي أن أهتم ببعض الأمور... لا تغادري المنزل».

وغمزها بعينه وخرج من الغرفة..

- لا أصدق هذا.. أنت وأخي! ظننت أنك تكرهينه..

- وأنا أيضاً... لكن تبين لي أنني كنت مغرمة به من سنين طويلة..

- أظن أنه يبادلك الشعور نفسه... ثارت ثائرته عندما رآك في البلدة برفقة هايس...

وضحكت ثم تابعت تقول: «لا يمكن أن تتصوري مدى ارتياحي.. اعتقدت أنك تميلين إلى هايس.. وأردت أن أحذرك لأنني على علم بمشاعره نحو مينيت.. لم أشأ أن تتعرضي للأذى..».

شعرت إيفي بموجة من الارتياح تغمرها وقالت: «شكراً لك. لكني كنت جادة يوم قلت لك إن هايس مجرد صديق... يبدو أنني كنت متيمة بأخيك منذ زمن بعيد ولا أصدّق أنه يبادلني الشعور نفسه».

ومالت نحوها مضيفة: «بما أننا حسمنا موضوع هايس، حدثيني عن ذاك الطبيب المثير».

بعد العشاء، صعدت ميري إلى غرفتها لتشاهد فيلماً برفقة السيدة روديس فيما توجّه ستيوارت إلى غرفة المكتب برفقة إيفي وأقفل الباب وراءه.

أحسّت إيفي بالتوتر والإثارة في آن معاً عندما أخذها بين ذراعيه. ارتجفت من قوة الأحاسيس التي أخذت تتدفق كسيل جارف في أعماقها... ولم تمانع أبداً عندما ضمها إليها بقوة أكبر.

كانت تتوق إليه لكن المشاعر المتأججة بينهما حملتها إلى حافة الجرف، وإذا بجسدها يتصلب من شدة التوتر..

رفع ستيوارت رأسه لينظر في عينيها المليئتين بالذعر، ثم قال لها: «أنت خائفة، أليس كذلك؟».

أحست إيفي بغصة في حلقها وأدركت أنها قد تخسره إلى الأبد لكنها قالت: «تربيت على الإيمان بأن بعض الأمور تبقى خاطئة حتى

www.rewity.com Breathless

وإن قال العالم كله إنها صائبة».

نظرت إليه بقلق وهي تتوقع منه أن ينهض ويغادر الغرفة أو أن يوجّه إليها تعليقاً ساخراً. كان رجلاً محنكاً في العقد الثالث من العمر؛ وعلى الرغم من أنه ردد على مسمعها مراراً وتكراراً أنه لا يحب الارتباط، إلا أنها ليست مستعدة لأي علاقة خارج إطار الزواج. أحست بقلبها يتوقف عن الخفقان: لن تتمكن من العيش إذا ما خسرته.. ما الذي ستفعله؟ كانت عيناها تتوسلان إليه بصمت فيما خيّم عليهما صمت مطبق معلناً أن ساعة الحقيقة دقت..

١١ - نهاية المغامرة

انتابها إحساس قوي بأنها خسرت كل شيء، فرفعت عينيها نحوه بحثاً عن بصيص أمل وإذا بطيف ابتسامة يتراءى لها على ثغره، ابتسامة لا تحمل في طياتها أيّ تهكم.. جلس ستيوارت قربها وراح يغلغل أصابعه في شعرها برقة ثم قال لها هامساً: «سبق وقلت لك إنني لا أغوي العذارى بل أتزوّج بهن».

اتسعت عيناها ذهولاً وسألته: «أتريد الزواج بي؟».

طبع قبلة سريعة على جبينها وأجابها: «من دون أدنى شك.. أردت الزواج بك يوم كنت في الثامنة عشرة، وكاد شوقي إليك يفقدني صوابي. كرهت نفسي بسبب ذلك لأنك كنت صغيرة جداً في السن يا إيفي».

وضمها إليه بقوة قبل أن يضيف: «لكنني لم أعد قادراً على العيش من دونك».

أسندت رأسها إلى صدره وأجابته: «أنا أيضاً لم أعد قادرة على العيش من دونك يا ستيوارت.. أحبك».

وماتت الكلمات على شفتيها وأجهشت بالبكاء من شدة انفعالها فعانقها بحنان ورقة.

وفي تلك اللحظة، علا صوت ميري من خلف الباب.

- من منكما يرغب في تناول المثلجات؟

www.rewity.com Breathless

ضحك ستيوارت وأجابها صارخاً: «كلانا».

- حسناً... أمامكما خمس دقائق للخروج من المكتب.

التمعت عينا ستيوارت وهو يجذبها إليه هامساً: «خمس دقائق... فلنستفد منها إلى أقصى حد».

* * *

وسط الاستعدادات الجارية لإقامة حفل زفاف ضخم، على الرغم من اعتراض إيفي بشدة، جاء الرئيس كاش غرايير والشريف هايس للتحدث إليها. كان ستيوارت قد قصد المزرعة لمعالجة مشكلة فيما قصدت ميري البلدة لإنجاز بطاقات الدعوة واختيار قالب الحلوى.

أدخلتهما السيدة روديس إلى غرفة الجلوس حيث كانت إيفي تعد لائحة بأسماء المدعوين فدعتهما للجلوس قرب المدفأة حيث تستعر النيران وسألتهما: «كيف يسعني أن أخدمكما؟».

أجابها هايس: «خطر لنا أنك قد ترغبين في الاطلاع على التطوّرات».

قال لها كاش: «تبين أن ممول صديقها الرئيسي مقيم في جاكوبزفيل... هل تذكرين الحادثة التي وقعت منذ سنتين يوم أوقفت الشرطة سياسياً ثملاً ما دفع بابنته إلى تشويه سمعتي في وسائل الإعلام؟».

- الجميع يذكر هذه الحادثة.

- تبيّن أن ابنته، جولي ميريل، متورطة في تجارة المخدرات مع عضوين سابقين في المجلس البلدي، استقالا من منصبيهما واختفى أثرهما. المهم هو أننا لم نتمكن من العثور على جولي على الرغم من جهودنا الحثيثة. لكن المعلومات التي تركتها راشيل تضمّنت اسم فندق في سان أنطونيو حيث ينزل أحد تجّار المخدرات الذين يتعاملون مع صديقها. خمّني من هو؟

- جولي ميريل؟

- شخصياً.. إنها موقوفة حالياً في سجن المقاطعة بانتظار محاكمتها.

سألته إيفي: «وماذا عن عضوي المجلس البلدي؟».

أجابها هايس: «ما زالا مختبئين في مكان ما لكننا سنتمكن من العثور عليهما عاجلاً أم آجلاً».

وتدخّل كاش قائلاً: «اكتشفنا حقيقة أخرى من خلال اعترافات راشيل، وأردنا أن نطلعك عليها.. اعترفت بأنها زودت بوبي كارسون بالمخدرات التي تسببت بوفاته».

تنهدت إيفي بصوت مسموع، ونظرت بطرف عينها إلى هايس الذي بدا وجهه خالياً من أي تعبير ثم سألت: «هل ذكرت شيئاً عني؟».

أرادت إيفي أن تعرف فهي لم تشأ أن تقرأ الأوراق لأنها ظنت أنها تتعلق بتجارة المخدرات فقط.

تردد كاش قليلاً فسارع هايس إلى القول: «كلا، لكنها ذكرت أنه من البديهي أن تحتفظ أختها بكافة مقتنياتها بعد وفاتها».

أحست إيفي بالألم يعتصر قلبها إذ توقّعت أن تسمع كلاماً آخر.

قال كاش ببرودة: «لا تكذب عليها يا هايس. قل لها الحقيقة كاملة مهما كانت قاسية».

ثم التفت نحو إيفي وأضاف: «أخبرت صديقها بأنها أطلعتك على كافة المعلومات في حال أصابها أي مكروه».

- يا للهول!

- الخبيث لا يتغير يا إيفي بل يزداد خبثاً... وضعتك في المواجهة عمداً حين قالت لجيري سميث إنك تملكين الدليل القاطع.

- لا يفاجئني ذلك... لطالما كرهتني. كانت طفولتي جحيماً...

أجابها هايس ممازحاً: «ستتغيّر الأمور الآن. علمت أن ميري يورك

www.rewity.com Breathless

قصدت المطبعة هذا الصباح لإتمام بطاقات الدعوة لحفل زواجك من ستيوارت».

أطلقت إيفي ضحكة رنانة وقالت: «لا يمكن إخفاء أي سر في جاكوبزفيل».

وافقها كاش الرأي قائلاً: «معك حق. . . . هل نحن مدعوان إلى حفل الزفاف؟».

- الجميع مدعو طبعاً. . . كنت أفضل حفل زفاف بسيط لكن ستيوارت أصر على إقامة حفل ضخم.

وبعد لحظة صمت عادت تسألهما بنبرة قلقة: «هل سيأتي أصدقاء جيري للبحث عني عندما يعلمون باعترافات راشيل؟».

أجابها كاش مبتسماً: «لا أظن ذلك. تمكّن جيري من النجاة وتحوّل إلى شاهد في القضية، وقد أدلى بمعلومات عن تاجر كبير فتم إلقاء القبض عليه هذا الصباح في مدينة نيويورك. كما تمكّن مكتب مكافحة المخدرات من إلقاء القبض على ابنة السيناتور السابق في سان انطونيو وسمعنا أنّ عضوي المجلس البلدي السابقين يحاولان الفرار إلى المكسيك. وإن فعلا فستلقي الشرطة القبض عليهما».

قالت إيفي بنبرة هادئة: «يسرّني أن القضية انتهت. . كان أسبوعاً طويلاً».

وغادر الرجلان بعد دقائق قليلة فيما عادت إيفي إلى اللائحة التي كانت تعدها.

كان حفل الزفاف حدث الموسم، تماماً كما توقع الجميع. ارتدت العروس فستاناً أبيض بذيل طويل وغطاء رأس مخرّم. نظرت إيفي في المرآة وعيناها لا تصدقان ما تريان. لم تحلم يوماً بأن يطلب ستيوارت يدها للزواج.

توجّهت نحو المذبح بمفردها. . . فعلى الرغم من أنها تلقت

عروضاً كثيرة من سكان البلدة لمرافقتها إلى المذبح، إلا أنها فضّلت أن تتقدم بمفردها وآثرت أن تسلمه نفسها بنفسها.

وقف ستيوارت على مسافة قريبة من القس وراح يتأملها وهي تسير في الممر وعلى وجهه علامات الحب والشوق. بدا لها هذا الرجل الذي تعشقه النساء أشبه بفتى مراهق يستعد لموعده الغرامي الأول.

وقفت إلى جانبه وهي تحمل بيدها باقة من الورود البيضاء ثم نظرت إليه من تحت النقاب الذي يغطي وجهها فيما راح القس يتلو العهود. . .

وانتهت المراسم فراح يتفرّس فيها للمرة الأولى بعد أن أصبحت عروسه.

- كم أنت جميلة يا سيدة يورك!

ومال نحوها وطبع قبلة حب على شفتيها فأحست إيفي بأنها قادرة على السير في الهواء. إنها أسعد امرأة في تكساس لا بل في الكون كله.

شارك سكان البلدة جميعهم في حفل الزفاف، بدءً من أرقى العائلات وصولاً إلى أكثرها بساطة، مروراً بالأصدقاء والمعارف الكثر. وراح المصور يلتقط الصور لكل اللحظات المرهفة التي شهدها الحفل إلى أن صعد الزوجان السعيدان في سيارة ليموزين بيضاء وتوجها إلى المطار.

استكانت إيفي بين ذراعي ستيوارت والفرحة تغمر قلبها. كانت جمايكا مكاناً مثالياً لتمضية شهر العسل، مع أنها لم تشاهد الكثير منها بعد.

كانت إيفي قد قرأت الكثير عن العلاقات الحميمة في الكتب الرومانسية والمجلات النسائية لكنها وجدت اختلافاً كبيراً بين النظريات والواقع. فالمشاعر الدفينة التي أيقظها ستيوارت في داخلها كانت قوية إلى حد أثار الرعب في قلبها، إذ فقدت السيطرة على ذاتها منذ اللحظة

www.rewity.com Breathless

الأولى، واستسلمت للمساته وقبلاته التي حملتها إلى أعلى قمم السعادة.

في اليوم التالي، خرجا معاً للتنزه على شاطئ البحر والاستمتاع بالأمواج وهي تتكسر على الرمال قربهما.. وتساءلت إيفي في سرها عما إذا كان هناك أحد في العالم سعيداً مثلها.

أراحت رأسها على كتفه وسألته برقة: «هل قلت لك إنني أحبك؟».

- أظن أنك فعلت...

وضمها إليه بقوة ونظر في عينيها المشرقتين ثم أضاف: «لكنني لم أفعل».

لامس خدها الناعم بيده وتابع يقول: «كان بإمكاني أن أقول لك منذ سنتين إنني أحبك.. وما زلت... وسأحبك إلى الأبد».

تقطّعت أنفاسها وهي تسمع هذه الكلمات المؤثرة وسألته: «حقاً؟».

- أجل....

وقبّل جفنيها بحنان قائلاً: «يمكننا تناول طعام الفطور والاسترخاء قليلاً.. ماذا ترغب السيدة يورك في أن نفعل بعدها؟».

ابتسمت له ابتسامة خبيثة واقتربت منه لتهمس في أذنه.

فرفع ستيوارت حاجبيه وقال لها: «أتعلمين؟ هذا ما كنت أفكر فيه فعلاً».

فرت هاربة منه وهي تضحك ضحكة رنانة، فلحق بها وهو يضحك أيضاً.

وبقيت ذكرى ذلك الصباح الجميل الذي شهد بداية حياتهما معاً، محفورة في ذهنيهما لسنوات طويلة طويلة. كان هذا أفضل صباح عرفته في حياتها...

www.Penny.com Breathless